المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت النقدية
اسم الكاتب: أ.م.د عبير سهام مهدي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2260
تاريخ الاسترداد: 2025/06/08 14:48 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت النقدية

أ.م.د عبير سهام مهدي(*)

المقدمة :

تعد مدرسة فرانكفورت أو النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت واحدة من ابرز المدارس الفلسفية الغربية المعاصرة، والتي اكتسبت اليوم اهمية بالغة نظرا لغنى وتنوع كتاباتها المنفتحة على مختلف المرجعيات الفلسفية الكبرى (الكانطية، الهيغلية، الماركسية، الفرويدية.الخ) ومواكبتها للاشكاليات المعقدة المطروحة في المجتمعات المعاصرة، وللتحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية لعالمنا المعاصر، ولعل ابرز مايميز هذه المدرسة الفلسفية يتحدد في كونها اتخذت النقد منهجا، وحاولت القيام بممارسة نقدية جذرية للحضارة الغربية قصد اعادة النظر في اسسها ونتائجها في ضوء التحولات الاساسية الكبرى التي افرزتها الحداثة الغربية ولاسيما الانوار، التي تعد نقطة تحول جوهرية في مسار هذه الحداثة، كما انها ادت دورا مهما في رصد الاعراض (المرضية) المختلفة التي عرفتها المجتمعات الغربية المعاصرة كـ(التشيؤ)* والاغتراب وضياع مكانة الفرد وازمة المعنى وغيرها مما حدا بالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت بتوجية انتقادات جذرية وعميقة للمفاهيم والقيم التي تأسست عليها هذه المجتمعات كالعقلانية والحرية والتقدم العلمي والتقني وما ارتبط بها من نزعات وضعية وعلموية، وغيرها من النزعات التي عملت على الحفاظ على الوضع القائم والمصالح المهيمنه فيه، ولهذا قدم مفكرو مدرسة فرانكفورت تحليلا نقديا للمجتمعات المتقدمة تكنولوجياً ولأسسسها الايديولوجية قصد الكشف عن الاليات الفكرية والسياسية التي تتحكم وتوجة هذه المجتمعات. من هنا انطلقت فرضية بحثنا الموسوم بـ(الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت النقدية) من ان مدرسة فرانكفورت سعت الى تحقيق هدف واحد وهو العمل على تغيير الواقع ليصبح اكثر انسانية وايجاد صورة العقل التي تتناسب مع هذا العقل

(*)كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد.

* التشيؤ: مصطلح صاغة (لوكاتش) ليصف ماسماه ماركس(التشيؤ السلمي) الذي يذهب الى ان الانتاج في النظام الرأسمالي يركز عنايته على السلعة المنتجة من حيث انها حصيلة عمل مبذول وادوات انتاجية، وبالتالي تصبح قيمتها كامنة في سعرها او مايسمى بالقيمة التبادلية وليس قيمتها الاستخدامية. ينظر: توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: (سعد هجرس)، ط٢، دار اويا، ليبيا، ٢٠٠٤، ص ١٧٧.

الانساني من خلال محاولتها لوضع نظرية نقدية للمجتمع تربط بين التفكير والممارسة مع بعضهما ربطا جدليا . وللبرهنة على فرضية البحث نطرح التساؤلات الاتية:

١ –كيف نشأت مدرسة فرانكفورت ؟ ومن هم ابرز فلاسفتها ؟

٢– ماهي مصادر افكار هذه المدرسة ؟ وكيف تطورت ؟

٣– ماهي علاقة روادها مع الفلسفة الهيغلية والماركسية والوضعية ؟

وفي ضوء التساؤلات التي تم طرحها في فرضية البحث فقد تم تقسيم الموضوع الى اربعة مباحث فضلا عن المقدمة والخاتمة، فقد تناولنا في المبحث الاول: الاصول التاريخية لمدرسة فرانكفورت النقدية، اما المبحث الثاني: فقد ناقش المصادر الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية ،اما المبحث الثالث: فقد كرس لمناقشة المنطلقات الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية، والاخير تناولنا فيه الاتجاهات الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية .

المبحث الاول: الاصول التاريخية لمدرسة فرانكفورت النقدية

قبل الاشارة الى نشأة هذه المدرسة ومن هم فلاسفتها، لابد من القول ان الفلسفة الغربية المعاصرة، ولاسيما الفلسفة الاوربية منها بالتحديد ، قد اسهمت بنصيب وافر في ظهور مدارس وحلقات فلسفية كبرى لعبت دورها الكبير في الفكر الفلسفي العالمي، من خلال مازودت به هذا الفكر من مناهج ورؤى وتصورات واحكام على مستوى المعرفة والميتافيزيقا والاخلاق والمنطق والمنهج والسياسة. ونذكر على سبيل المثال المدرسة الوضعية المنطقية، والمدرسة الوجودية، والمدرسة البراغماتية، والبنيوية، وما مدرسة فرانكفورت الا واحدة من تلك المدارس الفلسفية الكبرى التي ظهرت في القرن العشرين وما زالت قائمة الى يومنا هذا[١]. وقد حصلت مدرسة فرانكفورت على طابعها المؤسسي عبر تأسيس معهد الابحاث الاجتماعية في عشرينات القرن الماضي، وقد وضعت الحلقة الدراسية الاولى للعمل الماركسي لبنات التفكير في اسباب ازمة الفكر الماركسي واخفاق (ثورة ١٩١٨) في المانيا، وقد جمعت الحلقة الدراسية عدد من الباحثين من ابرزهم رجل الاعمال (فليكس فايل)، والاقتصادي (فريدريك بلوك)، والمفكر الماركسي (جورج لوكاتش)*، الا ان المشروع لم

---

[١] حسن مجيد العبيدي ، فلاسفة مدرسة فرانكفورت ونشأتها ، ١٢/ ك٢ / ٢٠١٣: www.kitabat.com

* جورج لوكاتش: ماركسي مجري ولد في بودابست في العام (١٨٨٥) ودرس على يد (ماكس فيبر) وكان في بداية وجوديا ثم تحول الى الماركسية وانظم الى الحزب الشيوعي المجري في العام (١٩١٨)، كاد (لوكاتش) ان يصير واحدا من من اعضاء مدرسة فرانكفورت لاسباب عديدة ، اهمها الحرص على الانتماء الى التراث الهيغلي الماركسي بما يخدم ظروف المشروع الثقافي الغربي المتحولة، غير ان مابعده عن تلك المدرسة هو تأرجحه بين الالتزام السياسي الايديولوجي المباشر وهو ما تسبب له بمشكلات=

يتكلل بالنجاح، غير انه عدّ بمثابة الانطلاقة التي دفعت بعض المشاركين في الحلقات في التفكير جديا في تأسيس معهد الابحاث الاجتماعية[٢].

وقد تأسس معهد الابحاث الاجتماعية رسميا في ١٩٢٣/٢/٣ في جامعة (غوته) بمدينة (فرانكفورت) في المانيا، وقد توخى المعهد في البداية احتضان الابحاث النظرية الاشتراكية التي اقفلت الجامعة الالمانية الابواب في وجهها، وكان المعهد يظم جملة من المثقفين اللذين لم يتبنوا طروحات الاشتراكية، ورفضوا الانضمام الى الحزب الشيوعي الالماني بعد فشل (ثورة ١٩١٨) يحدوهم العزم لبلورة فحص عميق لاسس النظرية النقدية، كان المعهد في البداية يتولى الاشراف عليه استاذ القانون والعلوم السياسية في جامعة فيينا (كارل جرونبرج)، وفي العام (١٩٣١) تم تنصيب (ماكس هوركهايمر)* رئيسا للمعهد وتعيين (تيودور ادرنو)** استاذا مساعدا له، وبتعاون (هوركهايمر وادرنو) اخذ اسم النظرية النقدية في اللمعان اذ لم يعد الاهتمام منصب فقط على نقد الاقتصاد السياسي كأداة لتحليل المجتمع

=ومتاعب شخصية وبين الاخلاص للبحث الفلسفي الجاد الذي اتاح له ان يقدم بعض من اهم الاعمال الفكرية في هذا العصر . للاستفاضة: ينظر: توم بوتومور، مصدر سبق ذكرة، ص ١٨١.

[٢] كمال بو منير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١، ص ٣٩.

* ماكس هوركهايمر: ولد في العام (١٨٩٥) في مدينة (شتوتكارت) الالمانية، وكان سليل عائلة يهودية ثرية وبتأثير العائلة ترك دراسته في المدرسة المتوسطة وكان عمره بحدود السادسة عشر ليعمل في مصنع والده، وفي العام (١٩١٦) اجبر على ترك العمل والالتحاق مقاتلا في الحرب العالمية الاولى، وبعد انتهاء الحرب التحق بجامعة (ميونخ) ودرس فيها الفلسفة، وعلم النفس، انتقل بعد ذلك الى جامعة فرانكفورت، كتب في العام (١٩٢٥) اطروحته للدكتوراه وكان عنوانها (نقد الحكم عند كانط: التوسط بين الفلسفة العملية والفلسفة النظرية) وبعد سنة واحدة عين هوركهايمر استاذا مساعدا. للاستفاضة: ينظر: محمد جلوب الفرحان، مدرسة فرانكفورت النقدية واتجاهاتها الفكرية:

www.drmfarhan.wordpress.com

** تيودور ادرنو : ولد في فرانكفورت ، وكان الطفل الوحيد لوالده ، وهو سليل عائلة يهودية تحولت الى البروتستانتية ، لعبت شخصية عمته (اكاتي) الموهوبة في الموسيقى ، دورا مؤثرا في توجيه اهتمام الطفل (تيودور) نحو الموسيقى وخصوصا العزف على البيانو ، تخرج من مدرسة (كاسير ويلهم) وعمره سبعة عشر عاما وكان من الطلبة الاوائل في دفعته، وفي جامعة فرانكفورت درس الفلسفة ، علم الموسيقى ، علم النفس وعلم الاجتماع وتخرج في العام (١٩٢٤) ، وخلال سنوات التلمذه في فرانكفورت كتب العديد من المقالات في النقد الموسيقي وكان يتطلع ان يكون مؤلفا موسيقيا ولهذا الغرض عمل اتصالا في العام (١٩٢٥) باعضاء مدرسة (فينا) الا ان خيبة املة في ان يكون مؤلفا موسيقيا حملته الى العوده الى مهنته كأستاذ جامعي وباحث اجتماعي.للاستفاضة : ينظر : محمد جلوب الفرحان ، مصدر سبق ذكره .

الرأسمالي كما كانت ترى الماركسية، انما اعتمدت– اي مدرسة فرانكفورت–على اجراء مقاربة تركيبية تقوم على ربط الفلسفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية[٣] .

لاشك ان اوضاع المانيا السياسية غير المستقرة قد اثرت تأثيرا ملحوظا على مدرسة فرانكفورت النقدية، وبشكل خاص تنامي النازية وحزبها الاشتراكية الوطنية والذي اصبح اكثر تهديدا للمدرسة، لذا فان مؤسسي المدرسة وخصوصا بعد صعود (هتلر) الى السلطة في العام (١٩٣٣) قرروا نقل معهد الابحاث الاجتماعية الى بلد اخر، وفعلا فان المعهد غادر الى (جينيفا)، ومن ثم الهجرة الى (نيويورك) في العام (١٩٣٥)، ومن ثم التحق المعهد بجامعة (كولومبيا) الامريكية، وشهدت هذه المرحلة نشر اهم اعمال منظري مدرسة فرانكفورت النقدية والتي لاقت قبولاً واسعاً من قبل الاكاديميات الامريكية والانكليزية، وعاد كل من (هوركهايمر وادرنو وبلوك) الى المانيا في بداية الخمسينات، وفي العام (١٩٥٣) اعيد فتح معهد الابحاث الاجتماعية رسميا في مدينة فرانكفورت[٤]، ومما لاشك فيه ان هجرة مدرسة فرانكفورت الى الولايات المتحدة الامريكية قد اثرت الى حد كبير في اعمالهم لذلك فانهم ، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وغروب النظم الفاشية والنازية شرعوا في تحليل المجتمع الرأسمالي الذي كان سائدا بصورة متميزة في امريكا خاصة مع تنامي نظامة الاقتصادي التي كونت الرأسمالية قوته، وهو مايفسر توجه بحوث المعهد هناك الى قضايا عدة في هذا المجتمع، كقضية السيطرة الشاملة، والقضاء على قيمة الفرد والقهر التقني، وصناعة الثقافة[٥]، وبهذا المعنى يمكننا القول ان المشروع الفلسفي النقدي لمدرسة فرانكفورت لم يكن منفصلا عن السياق التاريخي والاجتماعي الذي عرفته المجتمعات الغربية، بل ان المدرسة قد واكبت بعض الاحداث السياسية والاقتصادية التي اثرت فعليا على هذا المشروع، منها: اندلاع الحرب العالمية الاولى ، والثورة البلشفية في روسيا، واخفاق الثورة في المانيا، وعجز الحركات الاشتراكية الراديكالية في اوربا الغربية، وظهور الستالينية في الاتحاد السوفيتي، والنظم الفاشية والنازية في ايطاليا والمانيا، وهيمنة النظم الرأسمالية وتعزيز سيطرتها الاقتصادية والايديولوجية خاصة بعد خروجها من الازمة الاقتصادية الطاحنة التي مرت بها

---

[٣] فيل سليتر، مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها: وجهة نظر ماركسية، ترجمة: (خليل كلفت)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٥.

[٤] توم بوتومور، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦.

[٥] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المجتمعات الغربية في الثلاثينات من القرن العشرين[٦]. ومن هنا وجدت مدرسة فرانكفورت نفسها تضطلع بمهمة رئيسية تتمثل في ممارسة نمط من النقد الفلسفي ينصب اساسا على الوضع الاجتماعي قصد تغييره وتجاوزه. وقد توالت طروحات مدرسة فرانكفورت عبر اربعة مراحل مهمة هي:

المرحلة الاولى / والتي تمثلت في العالم (١٩٣٠) في فترة تولي (جرونبرج) ادارة المعهد اذ اتسمت طروحات المدرسة بطابع ماركسي ثوري ، اهتمت المدرسة بالدراسات البحثية الميدانية وركزت على مناقشة قضايا المادية التاريخية للماركسية والاقتصاد السياسي ومشكلات الاحزاب السياسية وتطور علم الاجتماع منهجا وموضوعا وقد التزمت المدرسة بموضوعين: اولهما: الالتزام بالخط الماركسي، وثانيهما: محاولة اثراء الكتابات الماركسية عن طريق الاستفادة من اجراء البحوث الامبيريقية– اتجاه في نظريه المعرفة، يرد المعرفة الى الاحتكام للواقع، بواسطة ملاحظته واختباره، والميدانية لدعم عمليات تحويل المجتمعات الأوربية إلى النظام الاشتراكي[٧].

المرحلة الثانية/ ترأس المدرسة في هذه الفتره (ماكس هوركهايمر) وسعى الى تغيير منهجية المدرسة وفلسفة تحليلها للواقع والبعد عن مثالية (هيغل) والتطرف الماركسي التي اكدت ان كل من النفس الاجتماعية والقانون والفن ماهي الا انعكاس للواقع المادي الاقتصادي، ومن ثم اكدت النظرية النقدية على ضرورة الاعتراف بالدور المستقبلي للثقافة في صياغة التفاعل الاجتماعي وقد كان اهتمام المدرسة لهذه الفتره منصب على ثلاث مجالات رئيسة هي: دراسة البناء الاقتصادي للمجتمع، تحليل النمو او التطور النفسي للفرد، دراسة الظواهر الثقافية[٨].

المرحلة الثالثة / تميزت هذه المرحلة (١٩٣٥ – ١٩٤٩) – بنشاط الرواد في الولايات المتحدة الامريكية (المنفى) وقد جاءت افكار المدرسة لتعكس بعدين اساسيين هما :

---

[٦] المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

[٧] عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٣ ، ص ٤٣٣– ٤٣٤.

[٨] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الاول: دراسة وتحليل الظروف الداخلية في المانيا خلال الفترة النازية والسعي الى اكتشاف الخرافات الاجتماعية، وقد تم الغاء البحث الاجتماعي لان علم الاجتماع قادر على كشف النوايا الحقيقية في المجتمع الألماني[٩] .

الثاني: طبيعة تباين المصالح وعلاقة جماعة المصلحة والضغط ودورها في صنع القرارات الداخلية والخارجية ، وفي هذه الفتره لقي الكثير من منشئي هذه المدرسة مصرعهم والبعض منهم هاجر الى الولايات المتحدة الامريكية او الى اوربا، الا ان بعض من رواد هذه المدرسة ظلوا يواجهون افكارهم حسب الفكر الايديولوجي النازي امثال (هابنز فيفز، ولتر ، ايبس) ، وقد ركز البعض الاخر على دراسة الفلكلور بعده موضوع امن من الناحية السياسية والاجتماعية ، ولكن الجيل الثاني من المدرسة هم من اهتموا فعليا بتطوير النظرية النقدية ، من امثال (ادرنو ، ماركوز *، هوركهايمر) اذ اهتموا بدراسة الواقع الرأسمالي عن قرب مستخدمين في ذلك الشواهد الواقعية والملاحظة ، وتناولوا قضايا ومشكلات المجتمع الامريكي بصورة نقدية وتحليلية ومع نهاية هذه المرحلة تغيرت اتجاهات معظم رواد هذه المدرسة فتحول (ماركوز) الى دراسة التحليل النفسي في (نيويورك)، الا ان (هوركهايمر) عاد الى المانيا في العام (١٩٤٩) ليواصل عملية التحليل الواقعي لمشكلات المجتمع الحديث[١٠].

المرحلة الرابعة / وقد مثلت هذه المرحلة عودة عدد كبير من رواد هذه المدرسة الى المانيا ، وتركزت تحليلات المدرسة على بعدين هما :

---

[٩] ينظر: علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت: من هوركهايمر الى هابرماس، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت، ص ٦٦.

* هربرت ماركوز : فيلسوف ومفكر سياسي أمريكي من اصل ألماني ولد في (برلين) من أسرة برجوازية يهودية مندمجة في الحياة الألمانية ، عاش في ألمانيا وغادرها في العام (١٩٣٢) هربا من النازية ، دخل في العام (١٩٣٢) معهد الأبحاث الاجتماعية في فرانكفورت ، نشر مؤلفاته الرئيسة في مرحلة متأخرة من حياته وبعد مرحلة من النضج والتفكير ، وبقي ماركسيا اكاديميا ملتزما إلى إن صدر كتابة (الجنس والحضارة) في العام (١٩٥٤) الذي أحدث تغييرا كبيرا في فكره ولاسيما بعد قرائتة المعمقة لمؤلفات (فرويد). للاستفاضة : ينظر : عبد الوهاب الكيالي واخرون ، موسوعة السياسة ، ج ٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ص ٦٥١ – ٦٥٢ .

[١٠] عبد الله محمد عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣٥

الاول : مناقشة التفاعلات والاحداث الواقعية وخاصة ظهور مجتمع الوفره وحياة الرفاهية التي عاشتها المجتمعات الرأسمالية وظهور النزعة التسلطية والبيروقراطية في المجتمع السوفيتي خلال فترة حكم (ستالين)[١١] .

الثاني : الاهتمام بعلم الاجتماع في حد ذاته سواء في المانيا او الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية ومحاولة اعادة صياغته وتأسيسه على اسس علمية وموضوعية جديدة، الا ان هذه المدرسة واجهت صعوبات عدة اهمها : عدم تناول القضايا التي نتجت عن فترة الحكم النازي واستمرار كراهية السلطة لعلم الاجتماع[١٢]. لقد اتخذت مدرسة فرانكفورت من ضمن استراتيجياتها المهمة الهجوم على الميتاقيزيقا والمثالية، وقد اصدر المعهد صحيفة متخصصة تمثل وجهة نظر معهد الدراسات الاجتماعية ومن ضمن المقالات المتميزة التي نشرت في الصحيفة مقالة لـ(هوركهايمر) بعنوان (الماركسية وعلم الاجتماع) ومقالة لـ (اريك فروم) بعنوان (الماركسية والتحليل النفسي) ودعى فيها (اريك فروم) الى علم ماركسي نفسي يمكن المزاوجه فيه بين الماركسية والفرويدوية، وقد قام اعضاء المدرسة بدراسات جماعية منها: حول دور الطبقة العاملة في اوربا ومنها ايضا دراسات حول الجدل الهيغلي وكذلك دراسة جماعية حول الشخصية الفرويدية وكذلك دراسة جماعية حول الشخصية الفردية وكذلك دراسة الشخصية الاستبدادية وقد ساهم في تلك الدراسات المشتركة كل من (اريك فروم، وادرنو ، وهوركهايمر ، وماركوز)[١٣]. هذا من جانب، ومن جانب اخر يمكن القول بان جميع مفكري مدرسة فرانكفورت كانوا بعيدين عن الحياة السياسية بأستثناء (ماركوز) الذي ناصر الحركات الطلابية* في نهاية الستينات واعتبرها بارقة امل في الحياة الثورية وهي اي

---

[١١] ينظر: محمد جلوب الفرحان، مصدر سبق ذكره.

[١٢] المصدر نفسه ، ص ص ٤٣٥ – ٤٣٦ .

[١٣] فيل سليتر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣.

* الحركة الطلابية: مجموعة الإحداث التمردية التي قامت بها جماعات الطلاب المعادية للامبريالية وحرب فيتنام والتي ادت الى اول محاولة ثورية انقلابية في مجتمعات اوربا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية في العام (١٩٦٨) وقد لجأ الطلاب إثنائها الى بناء الحواجز والخنادق، وتحولت بفضل مشاركة اليسار الجديد والتروتسكيين الى حركة سياسية هدفها الإطاحة بحكم (ديغول) في فرنسا وبالنظام الرأسمالي حققت الحركة في فرنسا بعض الإصلاحات الجامعية ومطالب عمالية شملت ارتفاعا في الأجور، الا انها فشلت في تغيير النظام لاسباب كثيرة ، منها : قوة (ديغول) وقوة الطبقة الوسطى وتحالفها معه ، وموقف الحزب الشيوعي الفرنسي المعادي للثورة والملتزم بالتغيير البرلماني والتدريجي، الى= =جانب صعوبة ايجاد ارضية مشتركة وتحالف ثابت بين الاحزاب الثورية واليسار الجديد ، ورغم ان افكار (ماركوز) مثلت احد اهم مصادر الهام هذه الحركة الا انها ما لبثت ان انطفأت وخفت جاذبيتها لعجزها عن إعطاء أجوبة جدية عن=

تللك الحركات الثورية الطلابية بديل للحركات العمالية التي انتهى دورها الثوري وخصوصا عند الكثيرين من المفكرين الذين اعتبروا الطبقة العاملة جزء من الطبقة البرجوازية بعد اطلاق مقولة (تبرجز الطبقة العاملة)، وعلى الرغم من الحركات الطلابية قد اعتبرت مدرسة فرانكفورت ودراساتها المتميزة من مصادر التأثير المهمة لتلك الحركات الا ان معظم اعضائها كان مبتعدا عن الحياة السياسية وخصوصا (ادرنو و هوركهايمر)[١٤] ، وفي نهاية الستينات وبعد وفاة كل من (هوركهايمر) و(ادرنو) وانتهاء الحركات الطلابية اقتربت تلك المدرسة من نهايتها وبقيت افكارها الرئيسة واضحة في الدراسات النقدية المهمة وواصل الكثير من المفكرين ممن تأثروا بأفكار مدرسة فرانكفورت وبجهود فردية بدراسات فلسفية وفكرية متميزة ويقف على رأس هولاء المفكرين (يورغن هابرماس)* الذي يعد من ابرز المفكرين الذين ساروا على نهج المدرسة وممن تأثروا بفكرها النقدي .

المبحث الثاني : المصادر الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية

لايمكن فهم النظرية النقدية **لمدرسة فرانكفورت الا بالرجوع الى المصادر الفكرية لفكر هذه المدرسة ، غير ان مايميز هذه المدرسة عن باقي المدارس الفلسفية و السوسيولوجية الاخرى هو عدم اقتصارها على المرجعية الفلسفية او السوسيولوجية فقط ، فقد تشربت هذه المدرسة من ينابيع جميع العلوم الانسانية، من الفلسفة (كانط وهيجل)، ومن علم الاجتماع (كارل ماركس وماكس فيبر واوغست كونت) وعلم النفس (فرويد) والعلوم اللغوية (اوستين) ونظرا لسعة الموضوع سوف نتكلم عن الاسس الفلسفية والسوسيولوجية .

=مشكلات العالم المعاصر رغم طموحاتها في رسم الطريق نحو التحرر الانساني .ينظر : توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢ .

[١٤] كريم عباس زامل ، مؤسس مدرسة فرانكفورت : www.institution.rssnews.ir

* يورغن هابرماس : فيلسوف وعالم اجتماع الماني ، ومن ابرز المعبرين عن الاتجاه العقلاني النقدي ونقد الطابع التقني والوضعي القمعي للعقل في الممارسات الرأسمالية والاشتراكية ، ولد في مدينة (دوسلدورف) ، ودرس في جامعتها ،وحصل على الدكتوراه عام (١٩٥٣)،ابرز نتاجاته الفلسفية القول الفلسفي للحداثة وخطابها السياسي،المعرفة والمصلحة والعلم والتقنية كأيديولوجية ،مفهوم الحداثة عند هيغل وغيرها .ينظر : حسن مجيد العبيدي ، مصدر سبق ذكره .

** النظرية النقدية : يقصد بها تلك النظرية التي كان ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للنظام الهيغلي، ونقد الاقتصاد السياسي، والنقد الجدلي وتهدف الى اقامة نظرية اجتماعية متعددة المصادر والمنطلقات، كالاستعانة بالماركسية والتحليل النفسي، والاعتماد على البحوث التجريبية ، وبتعبير اخر النظرية النقدية هي تجاوز للنظرية الكانطية، والمثالية الهيغلية ، والجدلية الماركسية فهي نقيض للواقع ونقد للمجتمع بطريقة سلبية ايجابية. ينظر: سعد البازعي وميجان الرويلي ، دليل الناقد الادبي، مركز الثقافة العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠، ص ٢٠٠.

أ – المصادر الفلسفية: اتخذت مدرسة فرانكفورت او مايعرف بالنظرية النقدية من النقد اساسا لها، والنقد هو تقليد الماني قديم وقد ظهر وبشكل جلي مع (كانط) ومن بعده (هيجل) واتباع (هيجل) من بعده (الهيغلين الشباب) ليصل هذا التقليد الى مدرسة فرانكفورت. ويرجع العديد من المهتمين بالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت الى النقد (الكانطي) الذي يعد مرجعا اساسيا اعتمد علية اصحاب النظرية النقدية وخاصة من كتبة الرئيسة الثلاث: (نقد العقل الخالص) في العام (١٧٨١)، (ونقد العقل العملي) في العام (١٧٨٨)، وكتاب (نقد ملكة الحكم) في العام (١٧٩٠). وقد حاول بعض مفكري النظرية النقدية اتخاذ منحى توفيقي بين الفلسفة الكانطية والمادية الجدلية (لاسيما في بعديهما المتعالي كما يقول ماركوز)، وانطلاقا من القيمة التي اسستها الكانطية في التاريخ الحديث للفلسفة الكلاسيكية الالمانية سعى فلاسفة فرانكفورت الى تقديم النظرية التي يجتهدون في بنائها وتوضيحها كوريث شرعي للعقلانية الكلاسيكية من كانط[١٥]. واذا كان هناك اختلاف بين الباحثين حول ما اذا كانت الفلسفة تمثل احدى الخلفيات الفلسفية لمدرسة فرانكفورت، اذ هناك اجماع على ان فلسفة (هيجل) تمثل مرجعية اساسية لفكر مدرسة فرانكفورت وهذا يتضح من كتابات (ماركوز) وخاصة في كتابه (العقل والثورة)، فاذا كان(كانط) قد اقام فلسفته النقدية لتمييز العلمية الصحيحة عن المعرفة الميتافيزيقية التي تؤدي الى وقوع العقل في التناقض فان (هيجل) قد جعل من التناقض جوهر لفلسفته ومنهجه الجدلي[١٦]. وقد قام (هيجل) من خلال منطقة الجدلي، بأدخال العقل في الوعي وفي الطبيعة ثم تجلى في التاريخ، واصبح هو جوهر التاريخ ومحركه، بل اصبحت العملية المعرفية نفسها تنمو في مراحل متعددة، وقد قام (هيجل) ايضا بمهاجمة المعرفة العقلية الخالصة التي فصلت الفكر عن الوجود، كما هاجم (هيجل) الفلسفة التجريبية الخالصة التي اغفلت السمات العقلية للواقع.

ويعد (هيجل) حسب منظري فرانكفورت رائد الفلسفة الاجتماعية لانه خلص الفلسفة من القيود الشخصية المفردة، حين القى بالوعي في تجربة جماعية وكونية يخوضها الروح منذ اللحظة الاولى التي انفصل فيها عن الطبيعة ، وتظهر هذه التجربة في الدين والفن والسياسة وتجد في الفلسفة تعبيراتها المفهومية[١٧].

---

[١٥] إبراهيم الحيدري ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، ٢٠١٣/١١/٢٥: www.ahewar.com

[١٦] محسن الخوني ، هيجل في مدرسة فرانكفورت : www.civicegypt.org

[١٧] المصدر نفسه .

وقد انقسمت المدرسة الهيجلية بعد وفاته الى جناح يميني وجناح يساري ، وقد تمسك الجناح اليميني بالاتجاه المحافظ في مذهب (هيجل) ووسعة ، اما الجناح اليساري فقد طور الاتجاهات النقدية عند (هيجل) مبتدءا هذا التطوير بتفسير تاريخي للدين، وقد دخلت هذه الجماعة الاخيرة في نزاع اجتماعي وسياسي متزايد الحده مع عهد عودة الملكية وانتهى امرها اما الى الاشتراكية الفوضوية الكاملة واما الى الليبرالية التي تحمل طابع البرجوازية المصغرة[١٨]، وقد تعارضت معايير (هيجل) النقدية مع الواقع الاجتماعي السائد ، ولهذا السبب اطلق خصومه المعاصرون لمذهبه اسم (فلسفة سلبية)، وقد ظهرت في العقد التالي لموت (هيجل) فلسفة ايجابية او وضعية ترمي الى ازالة تأثير اتجاهاته الهدامه واخذت هذه الفلسفة على عاتقها ان تخضع العقل الى سلطة الواقع ، وان الصراع حدث بعد ذلك بين الفلسفة السلبية والايجابية او الوضعية ليقدم مفاتيح متعددة تساعد على فهم نشأة النظرية الاجتماعية الحديثة في اوربا .

ب – الاسس السوسيولوجية :

١ – التأثير الماركسي : تاريخيا يمكن القول بان النظرية النقدية تمتد بجذورها الى الماركسية عبر حلقات اسبوع الاعمال الماركسية ، التي انبثقت منها فكرة تكوين معهد الابحاث الاجتماعية ، كذلك يمكن الاشارة الى انه خلال مرحلة التكوين ، عقد المعهد علاقات قوية مع (لوكاتش)، (وكورش)، اذ اخذ عنهما اعضاؤه تحليلهما لفكرة حتمية تخطي النظام الرأسمالي، التي احتلت لبّ النظرية النقدية خاصة خلال ادارة (جورنبرج) للمعهد ومن الواضح ايضا ان المعهد كان مواكبا لكافة التطورات في (الاتحاد السوفيتي) بعد ثورة (١٩١٧)، وان (هوركهايمر) حاول ان يطبق الماركسية بعدها فلسفة نقدية على صعيد نظرية المعرفة، واهتم مع زملائه وبالذات بعد وصول (ستالين) الى الحكم، وعقد المعاهدة النازية – السوفيتية، بتوسيع الطروحات الماركسية وتنميتها في الاصعدة النظرية والاجتماعية والنفسية، وبشكل مختلف عن التفسيرات التي قدمها لها منظروا الاممية الثانية والثالثة، وان تم ذلك دون بلوغ حد التعارض معها[١٩]. من هنا يمكن الاشارة الى ان العلاقة الاولى لمفكري مدرسة فرانكفورت مع الماركسية، لم تكن انخراطا في عقيدة وفدت من الخارج ، او انهم دخلوا الماركسية مستسلمين لكل افكارها وممارساتها لدى النظم التي اتخذتها، بل مثلت اعمالهم

---

[١٨] المصدر نفسه .

[١٩] توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٥–٢٦.

نوعا من (التدخل الهجومي) في ازمة الماركسية الارثوذكسية هذا التدخل الذي فسره (كورش) على انه: (اخذ في الاعتبار اسباب الازمة، دون اخفاء عمقها وتناقضاتها فمثلما رفض هولاء المفكرون طروحات الاشتراكية الاصلاحية، ورفضوا كذلك الطروحات اللينينية ، ولم يسقطوا في وهم اعادة بناء عقيدة اصيلة وواضحة ، ولايوجد اي عضو منهم ذهب ضحية التصور السائد بان الاتحاد السوفيتي قد حقق الاشتراكية)[٢٠]. وهكذا فان منظري مدرسة فرانكفورت تأثروا بالماركسية حتى عدّ البعض ان هذه المدرسة ليست الا فرعا من فروع الماركسية ، لكن اصحاب النظرية النقدية وان تبنوا الماركسية كمبدأ او كمنهج فانهم لم يلتزمو بها كليا ولم يتشبثوا بمقولاتها المتمحورة حول نقد النظام الاقتصادي والرأسمالي وحول الايدولوجيا بصفة عامة[٢١]، بل تركزت ماركسيتهم على نقد الاغتراب والاسباب الكامنة وراءه في المجتمعات الصناعية القائمة على الكليانية والمعقولية التقنية والبيروقراطية التي ادعت التقدمية وتباهت بالهيمنة على الطبيعة وعلى الانسان في العالم الشيوعي والرأسمالي، ولم يكن المصدر الاساس لهذا النقد هو النظرية النقدية برمتها ولا الارتباط بالطبقة العاملة بقدر ماكان التأثر(بماركس) الشاب وخاصة في كتاباتة الاولى وتحديدا في (مخطوطات ١٨٤٤)، وقد وجدوا في ارائه تأكيدا لاغتراب الانسان وعرفوا ان نقدهم لها لاينبغي ان يقتصر على الاصلاح الاقتصادي والسياسي وعلى (وثنيتها السلعية)– حسب المفكر الماركسي جورج لوكاتش– وعقلانيتها المزعومة التي تقف حجر عثرة امام كل حياة انسانية اصيلة وهذا ماحاول القيام به (ادرنو وهوركهايمر) في كتابهما المشترك (جدل العقل)[٢٢]. وقد انطلق (هابرماس) من فكرة ان الماركسية فكر يحتوي على قدرة نقدية هائلة لكل ماهو عام وشامل ، وقد طرح في نفس الوقت مشروع اعادة (توجية الماركسية)، واذا كان (ماركس) قد قلب الجدل الهيجلي على رأسة وجعله يسير على قدمية كما يقال فان (هابرماس) هو ايضا قلب الماركسية على رأسها لتسير على قدميها وذلك استنادا على عقلانية (ماكس فيبر)، لكن رغم المكانة التي تحضى بها الماركسية في مدرسة فرانكفورت فانها لم تسلم من النقد خاصة في شقها التقليدي والستاليني الدوغمائي اذ عدّ رواد المدرسة ان الماركسية لم تعد تواكب التغيرات التي تحدث في العالم الراسمالي، وان الرهان على الطبقة العاملة في القيام بالثورات اصبح

---

[٢٠] المصدر نفسه، ص ٢٦.

[٢١] خليل كلفت، إشكالية مدرسة فرانكفورت: بين النظريتين النقديتين الأصلية والجديدة:
www.social-subject-line.com

[٢٢] محمد الجلالي ، الأسس النقدية لمدرسة فرانكفورت : www.social.subject-line.com

شبه مستحيل في مجتمع استطاع احتواء هذه الشريحة الواسعة، ليراهنوا على فئات اخرى من قبيل الطلاب والاقليات العرقية كطليعة استراتيجية للتغيير وهذا ماتبين جليا في احداث (١٩٦٨) في فرنسا وفي امريكا حين رفض الطلاب الأمريكيين الحرب على فيتنام[٢٣].

٢- تاثير ماكس فيبر : تعد كتابات (ماكس فيبر) حول العقلانية من احدى المرجعيات الأساسية لمدرسة فرانكفورت، وقد ظهرت بوضوح في كتابات (ماركوز) وخاصة كتابة (الانسان ذو البعد الواحد)، كذلك في حديثة عن منطق الهيمنة وهو المفهوم الاساسي الذي اضحى مبدأ جوهريا لمدرسة فرانكفورت في اوج ازدهارها ويعني ان السيطرة على الطبيعة من خلال العلم والتكنلوجيا تنشأ عنه بالضروره شكلا جديدا من التسلط على الإنسان[٢٤]، ويمكن ان ندرج وجهين رئيسيين للتشابه بين مدرسة فرانكفورت وكتابات (ماكس فيبر)[٢٥]:

الوجه الاول: هو ان العقلانية التقنية او الترشيد قد تم تصورهما كقوة مجردة تشكل مجتمعا يقع خارج نطاق التحكم البشري، اذ ان المنطق الداخلي للنظام الذي خلقه العلم والادارة العقلانية يقوم بهذا العمل على نحو ما من وراء ظهر الافراد او الجماعات الاجتماعية المعينه وانه يقوم بهذا – اي العمل – ايا كان الشكل الظاهري للمجتمع اي بصرف النظر عما اذا كان المجتمع رأسماليا او اشتراكيا ، شموليا او ديمقراطيا ، وبهذا المعنى يتم احلال مفهوم (المجتمع الصناعي) محل (المجتمع الرأسمالي)، وقد برهن (ماركوز) على مقولات(فيبر) بقوله:(...ليس تطبيق التكنلوجيا فحسب، بل التكنلوجيا نفسها، هي التي تمثل تسلطا على الطبيعة والانسان بطريقة منهجية علمية ومحسوبة وماكره ، وان الاهداف والمصالح المحدده لهذا التسلط لايتم دسها على التكنولوجيا فيما بعد ومن الخارج، وانما هذا يدخل في تصميم بناء الجهاز التقني).

اما الوجه الثاني: يمكن العثور على وجة التشابه في النزعة التشائمية التي تنشأ من تفسيرهما للمجتمع الصناعي الحديث، فاذا كان (فيبر) ليبرالي يائس– على حد تعبير توم بوتومور– فان مفكري مدرسة فرانكفورت وخاصة (ماركوز) يمكن وصفهم بانهم (راديكاليون يائسون)– حسب بوتومور– اذ ينظر (ماكس فيبر) ومعه رواد مدرسة فرانكفورت الى ان التوسع الاكثر او الاقل قسوة للترشيد والعقلنة يعني ان المجتمع سيصبح عرضه للتسلط من جانب علاقات

---

[٢٣] محمد الجلالي، مصدر سبق ذكره.

[٢٤] توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٧٧ –٧٨.

[٢٥] المصدر نفسه ، ص ص ٧٩ – ٨٠ .

اجتماعية ذرائعية محضه وسيصبح (قفصا حديديا ودولة للتحجر الالي) تختنق فيه الابدعية الفردية والقيم الشخصية. ان تشاؤمية (ماركوز وهوركهايمر) فيما يخص مصير الفرد هي من نفس تشاؤمية (فيبر) فالعقلانية التقنية[٢٦]، إي العقل الذرائعي هو الذي يسود الحياة الاجتماعية وان بقيت قوى قليلة تعارضها ، وهذا مايخلص الية (ماركوز) في كتابه (الانسان ذو البعد الواحد) . واذا كان الرواد الاوائل لمدرسة فرانكفورت قد اعتمدوا على كتابات (ماكس فيبر، وكارل ماركس) فان (هابرماس) كأحد رواد الجيل الثالث من المدرسة لم يكتفي بكتابات (ماكس فيبر وماركس) بل انفتح على كتابات سوسيولوجيين اخرين من قبيل (هربرت ميد) و(إميل دوركهايم)،[٢٧] إذ يؤكد (هابرماس) ان مفهوم التواصل بوصفه نظرية علمية قد بدأ مع السوسيولوجي (هربرت ميد) في نظريته المرتبطة بالتفاعل الرمزي، اذ دافع– (هابرماس) – عن فكرة ان التواصل هو المبدأ المؤسس للمجتمع، اما فيما يخص (دوركهايم) فيتجلى فكره بوضوح في كتابات (هابرماس) حول كيفية دمج الفرد في مجتمع طغت فيه القيم الفردانية، ويظهر ذلك في حديث (هابرماس) عن الفضاء العمومي وكيفية تحقيق الديمقراطية ففي كتابه (نظرية العقل التواصلي) يخصص فصلا مطولا للحديث عن (دوركهايم وميد) قائلا: (...ان تحول البراديغيم الذي انتقل من الفعل الغائي الى الفعل التواصلي بدأ مع ميد ودوركهايم، فماكس فيبر ودوركهايم وميد ينتمون الى جيل المؤسسين للسوسيولوجيا الحديثة)[٢٨]، من خلال ماتقدم يتبين لنا تنوع المصادر الفكرية التي اعتمدت عليها مدرسة فرانكفورت النقدية والتي اسهمت في اثراء وتنوع افكارها ومواقفها ازاء القضايا الفكرية التنوعة.

المبحث الثالث: المنطلقات الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية

١ – نقد النزعة الوضعية والتجريبية

وجه الرعيل الاول لمدرسة فرانكفورت انتقاداتة الحادة الى النزعة العلمية المفرطة وانساقها التي تحولت الى ايديولوجيات تستند الى يقين معرفي ومعتقدات ايمانية فكلها في نظرهم قد غدت انظمة معرفية مغلقة تعتمد اشكالا تنظيمية مقننة للحياة الاجتماعية، من خلال اسقاط اليات فهم الظواهر الطبيعية على الظواهر الاجتماعية بمعنى انها اصبحت

---

[٢٦] الن هاو، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة: (ثائر ديب)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٢٥٧.

[٢٧] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٢٨] توم بوتومور، مصدر سبق ذكره ، ص ٨١.

ايديولوجيات شمولية تنظم علاقات الانسان بالانسان، والانسان بالاشياء مما حدا برواد مدرسة فرانكفورت الى رصد تحول العقلانية كايديولوجية ، ومحاولة الكشف عن مكامن التسلط فيها ومحاربة نزعتها الوثوقية[٢٩]، وعليه جاءت النظرية النقدية كرد فعل على الوضعية التي كانت تعنى مع (اوغست كونت) بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية موضوعية تجريبية باستخدام الملاحظة والتكرار والتجربة، وربط الاسباب بمسبباتها بغية فهم الظواهر العلمية فهما علميا دقيقا، اذ كانت الوضعية تهتم ايضا بوصف الضواهر دون تفسيرها، لان التفسير يرتبط في منظور الوضعية بالتأملات الفلسفية والميتافيزيقية، كما استبعدت الوضعية البعد الانساني والتأملي والاخلاقي في عملية البحث [٣٠]، وبناءاً علية وجهت مدرسة فرانكفورت الى هذه النظرية الوضعية انتقادات قاسية وفي هذا الصدد عبر (بوتومور) عن ذلك بقوله: (اتخذ اصحاب مدرسة فرانكفورت موقفا مناهضا لها فانتقدها ادرنو لعجزها عن اكتشاف المصلحة الذاتية التي تسهم في تحقيق تقدم موضوعي، بسبب القصور الكامن في اسسها المنهجية ، وفشلها في اقامة صلة قوية بين المعرفة من ناحية والعمليات الاجتماعية الحقيقية من ناحية اخرى، كما انتقدها هابرماس بسبب طبيعتها المحافظة ، وقصورها عن فهم العلاقة الخاصة بعلم الاجتماع والتاريخ انطلاقا من ان علم الاجتماع الوضعي لايأخذ في اعتباره دور التحولات التاريخية في تشكيل المجتمعات)[٣١].

ان المعرفة العلمية التي سخرت لفهم الطبيعة والتحكم فيها تم استخدامها ايضا للتحكم بالانسان، بمعنى ان منطق النظم الذي يصوره الانسان للسيطره على الطبيعة ، تم نقله بالكامل للتحكم في الافراد والجماعة ، وهذا مايتبادر الى الاذهان عند فحص مختلف التنظيمات القانونية والادارية، واشكال الترشيد والضبط والتقنين والعقلنه لمختلف جوانب الحياة في العالم المعاصر، فكل هذه الاليات تعمل وفق نظمها ومنطقها الداخلي وتكرارها انتاج مجتمع طبقا لمقاسات ومواصفات معينة، لكن مدرسة فرانكفورت ترفض اي تناظر او تماثل تجريبي قد يعقد بين الظواهر الطبيعية ، يمكن صياغته في قواعد وقوانين محددة ، على اعتبار ان السلوك الانساني لايمت باي صله للقواعد التي تتحكم في ظواهر الطبيعة، الامر الذي جعل رواد مدرسة فرانكفورت يقفون في مواجهة معارضة للنزعة الوضعية التجريبية، ولعل مايميز هذا

---

[٢٩] محمد الجلالي ، مصدر سبق ذكره .

[٣٠] توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

[٣١] المصدر نفسه ، ص ص ٢١٢-٢١٣.

النقد العنيف هو محاولة الكشف عن العقلانية بوصفها (اليات للتسلط والهيمنة) التي طورت العقل التقني تحت ستار العلم ومن اجل العلم وبدعوى الحياد والموضوعية العلمية[٣٢]، ويمكن إجمال النقد الموجه من قبل مدرسة فرانكفورت للاتجاه الوضعي في ثلاثة انتقادات[٣٣]:

١–ان الوضعية كنظرية للمعرفه وكفلسفة للعلم تعد طريقا قاصرا ومضللا ، ولايمكن ان نصل من خلاله الى فهم صحيح للحياة الاجتماعية .

٢– ان هناك نوعا من الارتباط بين الاتجاه الوضعي وبين قبول ماهو قائم ، او بعبارة اخرى انهم يربطون بين الاتجاه الوضعي وبين الاتجاه اليساري المحافظ .

٣–ان الوضعية يمكن ان تساعد على خلق شكل جديد من اشكال التسلط التكنوقراطي، فمفهوم التسلط وفقا لكتاب (جدل التنوير) الذي كتبه (هوركهايمر وادرنو) معا، لم يعد ينظر اليه على انه تسلط من خلال طبقة معينه، وانما هو تسلط يتم من خلال قوة لاشخصية هي (التكنلوجيا).

٢– نقد التنوير :التنوير من المصطلحات العلمانية الغربية ، الاوربية الاصل والنشأة وهو مصطلح له فلسفته الخاصة ودلالتة الواضحة والمؤثرة في عالم الافكار ، اما عصر التنوير فهو احد العصور المهمة التي مر بها تاريخ الافكار في اوربا وعبر عن بدايات لفلسفات وضعية كان لها اثر بارز في الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر[٣٤].

ان مصطلح التنوير نشأ في ظروف تاريخية عاشتها دول اوربا شرقا وغربا، اذ كانت ثقافة الشعوب في اوربا خلالها مقصورة على ما تمليه عليها الكنيسة ورجاها،[٣٥] وهو مصطلح يعبر عن (عملية متواصلة من تشغيل العقل وترشيد الفكر واحلال المنطق محل الخرافات)[٣٦]. لقد حمل هذا العصر (الخطاب الرسولي لروسو وكانط وديدرو وديكارت...)[٣٧]، إن الأفكار التي طرحها التنوير كانت في البداية مجرد أفكار فلسفية لكنها بمرور الزمن تحولت إلى أفكار

---

[٣٢] محمد الجلالي ، مصدر سبق ذكره .

[٣٣] عبدالله ادالكوس ، مراجعات في نقد الحداثة : النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: www.arabicmagazine.com.

[٣٤] محمد السيد الجليند، فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، دار قباء، القاهرة ،١٩٩٩، ص ١٢

[٣٥] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٣٦] دوريندا اوترام ، التنوير ، ترجمة : (ماجد موريس إبراهيم) ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٥٢.

[٣٧] مجموعة مؤلفين ، ما بعد الحداثة ، ترجمة : (محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي) ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٠ .

سياسية أثرت في النظريات السياسية التي حكمت السياسات الداخلية والخارجية للدول[٣٨].
حاول فلاسفة التنوير – فولتير، مونتسكيو، ديدرو ، روسو، مندلسون، كانط وغيرهم – اشاعة فلسفات متعددة منها العداء للاكليروسية *حاولوا من خلالها تقويض سلطة الاكليروس في المجال الواقعي هذا من الناحية السياسية ، اما من الناحية الاقتصادية فاغلب النظريات التي اوردها عصر التنوير هي تتابع الوضع الاقتصادي المادي للشعوب ليشكل الحافز الاساسي للتنمية والتقدم لان الوضع الاقتصادي الجيد سيحفز على استمرار الانتاج ويقوي الارباح ويرفع من مستوى دخل الفرد [٣٩]، فقد ارتبطت التجارة في هذه المرحلة بالليبرالية وهذا ماساعد على طغيان العقيدة الليبرالية على العقائد الاخرى في فكر الاقتصاد السياسي الغربي ، واشهر النظريات الرأسمالية برزت في هذا العصر على يد (ادم سمث) – مفكر اقتصادي رأسمالي ومن ابرز المنظرين التاريخيين للرأسمالية [٤٠]، في حين حاول رواد التنوير دينيا التأسيس لحرية الدين وهذا مما جعله عصرا يوصف بالالحاد من الاكليروس الكاثوليكي ، وهذا ماأسهم في بروز المذهب الطبيعي – الايمان بالقوة العليا لخالق الكون دون الإيمان بالوحي[٤١] – والرأي الأقرب ان الاكليروس حاولوا تزييف الحقائق التي توصل اليها فلاسفة التنوير واتهموهم بالالحاد لان فلسفتهم تختلف عن تلك الفلسفة التي حاول الاكليروس ان يشيعها في المجتمع الاوربي للهيمنة علية فكريا فالملحد عند الاكليروس هو من لايطيع مايأمرون به وهم بهذا يحاولون ان يجعلوا من انفسهم الهة ومن المخالفين عصاة فلملحدون هم الخارجون عن المألوف الكنسي وهم الفلاسفة .

لقد بدأ افول عصر التنوير مع مطلع القرن التاسع عشر، بعدما توصلت حركة التنوير الى درجة متطورة من التأسيس على يد (كانط) في المانيا، فلم نعد نشهد نظريات علمية كما كان لـ (كلبر، غاليلي، نيوتن) وحتى الفلسفة وقفت ابنيتها المحكمة عند (كانط)، بل لم يعد القرن

---

[٣٨] مجموعة مؤلفين ، الحداثة وما بعد الحداثة ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، ١٩٩٨ ، ص ٨.

* الاكليروسية : تيار معارض ومعاد لرجال الدين انتشر في أوربا بشكل خاص ، يدعي الدفاع عن المسيحية الأصيلة وذلك بوقوفه ضد الممارسات التي تشوهها . ينظر : عبد الوهاب الكيالي واخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

[٣٩] فتحي التريكي ورشيدة التريكي ، فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٩٢، ص ١١.

[٤٠] عبد الوهاب ألكيالي وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩.

[٤١] ثروت عكاشة، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١١٣.

التاسع عشر ومابعده يشهد سوى شروح لمذاهب، او تلقين لمذاهب فلسفية مختلفة على نحو الافلاطونية المحدثة ، الديكارتية الجديدة ، ومراجعات هنا وهناك[٤٢].

لقد كانت بداية النزول في اتجاه مضاد مع حركة الرومانتيك *– الرومانسية – التي انتشرت في باقي دول اوربا، فبعدما كانت حركة التنوير تقول بالفردية والذاتية وتحلل المرء من اثار العصور الوسطى، والفصل بين عالم التجربة وعالم العقل المجرد، على العكس من ذلك كله حركة الرومانتيك ارادت ان تزج بالفرد وسط الامة، وان تخضعه خضوعا تاما لسلطان الدولة والكنيسة ، ولظروف الزمان الذي وجد فيه والجنس الذي ينتمي اليه والمكان الذي يقيم به ويحيا ماضيه كله في نفسه، ماضي امته وتقاليدها واساطيرها واحداثها..فأصبح الانسان كتلة من الماضي مرتبطة بمكان معين، ومحدودة بزمان معلوم، وبالتالي اصبحوا يقدسون العصور الوسطى ويعدونها ارقى العصور الانسانية واقربها الى تحقيق مثُلهم، بل لم يعودوا يفصلون بين عالم التجربة وعالم العقل المجرد بل يعدونهما من نسيج واحد لاوجود لأحد منهما دون الأخر[٤٣]، في حين الموقف الذي يتبناه العقلانيون المعاصرون من تاريخ الفلسفة هو موقف في الفلسفة وفي تاريخ الفلسفة غير انهم لايعتبرون انفسهم امتدادا استمراريا لا للعقلانية الكانطية ولا للعقلانية الكلاسيكية، كون العقل في منظورهم يراجع نفسه ويعيد فيها النظر في ذاته بأستمرار، فهو في نقاش ازلي وصراع ابدي مع ذاته، فالعقل لا يقر له قرار حركته الحقيقية هي النفي والتجاوز، نفي غير آلي، بل تركيبي وتوسعي[٤٤]، وهنا في هذا السياق النقدي للعقل والعقلانية النسقية السابقة، يبرز موقف النظرية النقدية من خلال(ارنست بلوخ ١٨٨٥–١٩٧٧) ابرز منظري المدرسة، في دراسته عن عصر النهضة وكل من (ادرنو وهوركهايمر) اللذين الفا كتاب (جدل التنوير) واهتما بتقديم فلسفة غير تقليدية، لاتهتم بالاتجاهات النظرية في تاريخ الفكر قدر اهتمامها بالبنية العامة للمجتمع كما تنعكس في العقل، اذ بحثا مصائر العقلنة وامكانيتها للتحرر رغم مشكلاتها الضخمة بايقافها امام محكمة العقل(كانط)، وحكمهما يمكن تبنية من خلال مسألتين: القول بان الاسطورة في زمانها تعقل، كما ان التعقل المعاصر او التنويرية المعاصرة تتجة لتكون اسطورة من جديد. اما

---

[٤٢] سالم يفوت ، فلسفة العلم والعقلانية المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٢، ص ص ٦٥–٦٦.

* حركة الرومانتيك : حركة ظهرت في القرن التاسع عشر كحركة معارضة لحركة التنوير وكرفض للطابع الشخصي للعقلانية إذ أصبحت تبحث فيما قبل العقل وفيما بعد العقل .

[٤٣] سالم يفوت ،مصدر سبق ذكره ، ص ص٦٥–٦٦.

[٤٤] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

بالنسبة للاسطورة فقد اوضحاها بان الجماعات البشرية فيما قبل التاريخ حاولت التخلص من تحكم الطبيعة..[٤٥]، فالإنسان الأول القادر على الاصطلاح او التعبير اتخذ الطبيعة موضوعا بان جعلها اداة او وسيلة لاغراضه، ففي الاسطورة اعادة تشكيل للطبيعة حسبما يراه الانسان. وهكذا فان الطبيعة ماتزال تقف في مواجهة العقل والتعقل باعتبارها مهددة[٤٦]، وفي هذا الصدد يقول (ادرنو): (... ان ماتحقق من تقدم في مجالات العلم والتقنية لم يحرر الانسان من الخوف ولم يجعل منه سيدا ..تشيأ العقل وتشيأت الذات الانسانية في إطار السيرورة والتقنية، وأضحى العقل نفسه مساعدا للالة الاقتصادية التي تشمل كل شئ ، انها تعمل كما لو كانت اداة كونية تناسب صناعة كل الالات الاخرى العقلانية المحضة المثقلة بالاخطار شأن مداولات الانتاج المادي المحسوبة جدا والتي لايمكن للناس احتساب نتائجها)[٤٧]. وهكذا فان الحل ليس في الخروج على العقل أو إزالته، بل في إن يتعقل تعقله او ينور العقل تنويره ، وعلية طرق (ادرنو) موضوع فلسفة التنوير من خلال اثارة اسئلة حول بنية العقل المعاصر .. فيتسائل هل الصورة التي وصلت اليها الحضارة هي نتيجة لفلسفة التنوير، التي استبعدت الابعاد المختلفة للعقل وجعلتة يقتصر على العقل العلمي والتكنلوجي، وتم استبعاد صورة العقل الاخرى ، مثل العقل الخيالي والأسطوري؟ ،(إن نقد التنوير هو نقد العقل ذاته)[٤٨] ، إذ نتيجة اتساع السوق وسيطرة العقل الحسابي اصبح الموجود المادي هو العقل الذي يتحكم في مصير الانسان المعاصر وتم اغفال الابعاد الاخرى كدور العلم التحريري للانسان مثلا، اذ اصبح ضروري نقد العلم الغربي في صورته الجزئية التي ساهمت في تفتيت الوعي الانساني وفي خلق اسطورة المردود والعقل الاستهلاكي– فأي نقد لهذه الحضاره يبدأ من نقد العقل – بحيث اذا كانت فلسفة التنوير تدعو الى استخدام العقل في كل شئ فان (ادرنو) يدعونا الى استخدام العقل في مجال جديد هو نقد العقل نفسه في استخدامه كبنية اجتماعيه للسيطرة والقمع[٤٩] ، ولذا يرى (ادرنو) إن فلسفة التنوير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد خلطت بين استخدامات العقل المطلقة .اذ تم استخدام

---

[٤٥] المصدر نفسه ، ص ٨٨.

[٤٦] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٤٧] ماكس هوركهايمر وثيودور ادرنو،جدل التنوير،ترجمة: (جورج كتوره)، دار الكتاب الجديد، بيروت،٢٠٠٦، ص ١٦.

[٤٨] سالم يفوت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨.

[٤٩] ينظر : إبراهيم الحيدري ، النظرية النقدية وديالكتيك عصر التنوير ، مجلة دراسات عربية ، ع(٩–١٠)، تموز ، ١٩٨٩،ص ١١٠ .

العقل في البحث في مجالات سبق (كانط) ان بين انها تتجاوز قدرة العقل الانساني ..اما القرن الثامن عشر الذي تنتمي اليه فلسفة التنوير لايمثل الا لحظة من لحظات تاريخ العقل لان فلسفة التنوير هي تجميع وتكريس لميراث العقل الذي تجاوز الحدود التي حددها (كانط) من قبل – حينما كان العقل هو القوة الفاتحة – ولان فلسفة التنوير اهتمت بدراسة جهد الانسان في الانتاج والتأثير على الطبيعة دون الاهتمام بالحركة الاجتماعية الناجمة عن ذلك ، وهكذا فان العقل الغربي مهدد منذ ولادته بخطر اللاعقل ، اذ كلما اكتسب العقل الدقة والسيطرة على موضوعة ازداد انغلاقا على نفسه لانه يفرض على نفسه معايير الدقة التي يفرضها على الموضوع الخارجي[٥٠]. وبالتالي فان العقل في صورته الراهنة لايقل عن الاسطورة – اذ وقع العقل فيما بعد اراد التحرر منه – كون المعرفة العلمية تسربت الى العقل الفلسفي المعاصر، الذي اصبح يعتبر التقنية او الالة هي جوهر المعرفة الفلسفية والتقنية ، مما يعني التحول الكامل للعالم الطبيعي والاجتماعي – لانها تؤثر في الذات والموضوع والعمل واللغة وكل انماط العلاقة التي تربط الانسان بالعالم– اي تحول العلم والتكنلوجيا والفلسفة الى ادوات في خدمة السيطرة التي هي بمعنى من المعاني جوهر المجتمع الذي نشأ عنه هذا الاستخدام للعقل – اذن فهي عودة الى اللاعقل الى الخرافة وفي هذا الصدد يرى كل من (هوركهايمر وادرنو): (ان الانتحار الذاتي لعصر التنوير كان قد اجبر الفكر على تعطيل نفسه حتى حد السذاجة مقابل التمسك بالتقاليد الفكرية الجديدة للفكر الوضعي الذي اختار لنفسه طريق التحول نحو السلبية وتحطيم ما بناه بنفسه)[٥١]، من خلال ما تقدم نجد إن كلا من (هوركهايمر وادرنو) حاولا الاجابة على تساؤل مفاده : كيف ان التنوير الذي كان في البداية تعبيرا عن فكرة التقدم الانساني وعن فكرة تحرير الانسان، سرعان ماتحول الى اسطورة تخفي السيطرة او الهيمنة؟ او بعبارة اخرى كيف نفسر تدمير العقل التنويري لنفسه بحيث اصبحت الانسانية تخوض في حالة جديدة من البربرية بدل ان تصل الى حالة انسانية حقيقية ؟ (هوركهايمر وادرنو) بان ذلك تم عندما تحول العقل اداة للسيطرة على الطبيعة ثم على الانسان، والمقصود بالعقل هنا: العقل الاداتي او العقل التقني القائم على التكميم والقياس والفاعلية والموجّه نحو ما هو عملي وتطبيقي ونفعي[٥٢]. بعبارة اخرى ان التنوير كان يهدف

---

[٥٠] إبراهيم الحيدري ، الحضارة والمدنية : طروحات في النظرية الاجتماعية والمجتمع ، نشرة معهد العلوم الاجتماعية ، ع(١٠) ، الجزائر ، ١٩٨٣،ص ٤١.

[٥١] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٥٢] كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣ .

في البداية الى تحرير الانسان من الخرافة والسحر والمعتقدات الفاسدة قصد اخراجة من وضعه السلبي والدفع به ليمارس حريته ويحقق سعادته وتقدمه، غير ان التنوير انقلب الى نقيض ذلك تماما، ذلك ان حركة التنوير، حتى وان ادّعت تحرير الانسان من عبودية الخوف والاساطير وادخلت العقل كأداة حاسمة في التعامل مع الاشياء والعلاقات الطبيعية والتاريخ، فانها في نهاية المطاف استسلمت لاساطير من نوع جديد [٥٣]، ولهذا أكد كل من (هوركهايمر وادرنو) عبر جدل التنوير الى الوقوف على الازمة التي اصبحت تعرفها الحضارة الغربية منذ بداياتها الاولى، ومن مظاهر هذه الازمة التي عرفتها هذه الحضارة مايمكن ان نسميه جدلية التنوير والاسطورة او العقل واللاعقل، وهكذا فان وعود التنوير بتحرير الانسان من جميع السلطات المتحكمة فيه والمهيمنة عليه لم يعد من الممكن تحقيقة في ظل العقلانية ولاسيما ان هذه العقلانية أصبحت اليوم اداتية [٥٤]، وبهذا المعنى ارتد العقل وحطم نفسه وانتهى الى التحول الى الاسطورة اي الى اللاعقل، وهذا ماشار اليه (هوركهايمر وادرنو) بقولهما: (كما ان الاساطير قد اكملت التنوير، فان هذا التنوير قد ارتبك اكثر فأكثر في الاساطير، استقى التنوير جوهر مادته من الاساطير مع انه كان يريد القضاء عليها ، وحين مارس وظيفة الحكم ظل واقعا أسير سحرها)[٥٥].

يبدو من خلال ماتقدم ان (هوركهايمر وادرنو) قد افلحا في نقد التنوير وعقلانيته التي اخذت طابعا اداتيا ، ولهذا وجدنا ان مختلف نصوص جدل التنوير قد انصبت على اظهار التأثير العميق الذي مارسته العقلانية الاداتية على مسار الحضارة الغربية، اذ اصبحت تمثل تسلطا على الطبيعة والانسان بطريقة علمية ومنهجية ومدروسة، وطبيعي ان يكون التشيؤ والاغتراب والسيطرة الذي يطبع هذه الحضارة من اهم المقولات التي اكدها (هوركهايمر وادرنو) على اعتبار ان الحضارة الغربية اذا بقيت حبسة هذه المقولات لاتساعد على تحقيق حرية وسعادة الإنسان بقدر ما تعمل على استلابه وإخضاعه باستمرار، ولكن وعلى الرغم من ذلك فان (هوركهايمر وادرنو) لم يكن موقفهما النقدي من العقلانية الاداتية ذريعة لترك مشروع التنوير لان الموقف التقليدي النقدي كان موجها في الاساس الى التحريف المستمر لقيم التنوير،

---

[٥٣] محمد نور الدين افاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية ألمعاصره : نموذج هابرماس ،ط٢ ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، ١٩٩٨، ص ٣٠ .

[٥٤] نقلا عن : كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

[٥٥] ماكس هوركهايمر وثيودور ادرنو ،مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢.

والى تلك السلبيات التي ظهرت في مسار الحضارة الغربية والتي بلغت ذروتها في ظل المجتمعات المتقدمه تكنلوجيا.

٣–نقد العقلانية الاداتية :

العقلانية هي فلسفة اخضاع جميع المعارف والعلوم الى منطق العقل، وادراك ان كل مايدركه العقل هو نسبي وهذا مما يجعل الافكار قابلة للنقد والتطوير، اذ يعد مفهوم العقلانية من اهم المفاهيم التي شكلت المشروع الحضاري الغربي في مختلف اطوار تأسيسه وتكوينة وخاصة عصر التنوير الذي ارتبط ايضا بالحداثة وشكل نقطة تحول أساسية في مسارها[٥٦]. وقد قامت النظرية النقدية بنقد العقلانية التنويرية، اذ وجد مفكروا مدرسة فرانكفورت انه لكي نحيط بمفهوم العقلانية لابد من الانطلاق من السياق الفلسفي الذي نجد ابرز ممثلية الفيلسوف الفرنسي (روني ديكارت) والانكليزي (فرانسيس بيكون)، اذ يعد (ديكارت) مؤسسا لبداية العقلانية، لانه عمل على تأسيس كل شئ بردة الى (الذات) عن طريق (الكوجيتو) وقد صاغها في عبارته المشهوره (إنا أفكر إذن أنا موجود)[٥٧]، فالوعي بالأشياء والموجودات الخارجية حسب (ديكارت) ترد الى الذات العاقلة كونها الاساس الثابت لكل يقين ، وعندما وضع الذات في مقابل الموضوع تأسست تلك الثنائية الحاده بين الذات العارفة (اي الانسان) والموضوع المدروس الخاضع للمعرفة (اي الطبيعة). وعلى هذا الاساس فان الذات – وهي هنا تمثل جملة القدرات والملكات العقلية والنفسية التي يغلب عليها الطابع الفطري– هي معيار كل معرفة، فالذاتية تعبر عن نزعه فلسفية قوامها رد كل حكم قيمي الى افعال أو أحوال فردية واعية[٥٨]، والذاتية مذهب فلسفي يدل على ان المعرفة ذاتية وليس حقيقة موضوعية خارجة عن ذات الانسان، كما تعني الذاتية(الجرأة على اقتحام كل الميادين، وكل تمظهرات الحياة وتعابيرها، لمعرفتها على حقيقتها)[٥٩]. وقد عبرت الذاتية عن نزعة تحررية حاولت اشعار الانسان بفرديته واستقلاله عن الاخرين، ولهذا فان الكثير من الاتجاهات الفكرية التي ولدت في الفكر السياسي الغربي الحديث كانت ذاتية في طابعها العام وهذا ادى الى بروز فلسفات عديدة في مرحلة مابعد القرون الوسطى حاولت ان تعبر

---

[٥٦] كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

[٥٧] اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة (خليل احمد خليل)، ط٢، ج٢، عويدان للنشر، بيروت،٢٠٠١، ص ص ١٢٠–١٢١.

[٥٨] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٥٩] فتحي التريكي ورشيدة التريكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١.

بصورة او بأخرى عن الذاتية[٦٠]، فبعد العصور الوسطى ابتدأت الذاتية بالفكر اللوثري من خلال تحرير (لوثر) الفرد من الكنيسة بتأسيسه الذاتية الدينية بربط عبادة الفرد بربه مباشره لا عن طريق الكنيسة، اما (ديكارت) فقد اسس الذاتية الفلسفية التي عبر عنها بفلسفة(انا افكر اذن انا موجود)، في حين ان الذاتي عند (كانط) هو مميز الارادة المحضة بوصفها لاتقبل التعيين ولا التحديد الا بمقتضى جوهرها الخاص بها، اي بمقتضى الشكل الكلي الوحيد للقانون الاخلاقي، بمعزل عن كل مؤثر ملموس[٦١].

ان نمو المعرفة العلمية – التي اخذت طابعا اداتيا – ادت الى تقلص افاق حرية الانسان وسعادته وكذلك استقلاله الذاتي بأعتباره فردا ، بل ان قدرته على التخيل والحكم المستقل تناقص أيضا[٦٢] ، لهذا انشغلت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت كثيرا بمصير الانسان الغربي المعاصر الذي تقلصت مساحة حريته كما قلنا ،على الرغم انه يعيش اليوم في مجتمعات جعلت الحرية والسعادة والتقدم شعارا لها، غير انه في حقيقة الامر هناك قهر يمارس عليه بصور مختلفة داخل المؤسسات السياسية والادارية والاقتصادية وفي مقدمتها مؤسسات الدولة التي اصبحت في الوقت الحاضر تستند في نشاطاتها ووظائفها الى المعرفة العلمية والتقنية والى الخبراء المختصين في مختلف المجالات، ولهذا استطاعت الدولة (ان تتحول الى نظام شامل للقمع والقوة والسيطرة ، فعرضت الانسان لاشكال مختلفة من القهر الظاهر والباطن، والقمع الواعي وغير الواعي الذي ينطلق من اجهزة الانتاج الضخمة، والمؤسسات الادارية والبيروقراطية والاستهلاكية والاعلامية التي تشبه الات هائلة يحاول الناس ان يكيفوا انفسهم مع ضغوطاتها ومطالبها)[٦٣]، وقد بلغت في ذلك حدودها القصوى حسب مفكري مدرسة فرانكفورت في النظم الشمولية التوليتارية، التي بلغت اوجّها بعد صعود النازية وما حل باوربا في تلك الفترة التاريخية المأساوية من تاريخ الحضارة الغربية وما عرفته من وحشية وبربرية فتحول التقدم الى انتكاسه وتراجع خطير اصبح يهدد مصير هذه الحضارة والتي تجلت في مأساة الحرب العالمية الثانية، وما خلفته هذه الحرب من ضحايا لم تكن ذات طابع تقليدي وانما استندت بالاحرى على المعرفة العلمية والتكنلوجية المتاحة في تلك الفتره التاريخية، ويظهر ذلك في طبيعة الاسلحة والعتاد والوسائل الحربية التي استخدمت من

---

[٦٠] محمد مهران رشوان ، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٤، ص ص١٩–٢٠.

[٦١] اندريه لالاند ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٢٠–١٢١.

[٦٢] نقلا عن : كمال بومنير ، ص ٣٠ .

[٦٣] نقلا عن : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

طرف الدول المتحاربة وخاصة ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إي تلك الدول المتقدمة تكنولوجياً[٦٤].

يمكن القول ان العقلانية التي تبلورت في الفكر الفلسفي الغربي منذ عصر التنوير بعده الاطار المرجعي الفكري والتاريخي للحضارة الغربية وقد ارتبطت بفكرة السيطرة على الطبيعة ثم على الانسان ايضا بعد تعميم النموذج العلمي– التقني حتى يشمله ويستوعبه، اذ اصبح يعيش الاغتراب والتشيؤ فقد حريته واستقلاله الذاتي، وفي مقابل العقلانية الاداتية وضع مفكروا مدرسة فرانكفورت العقلانية النقدية وذلك قصد اعطاء نفس جديد للفكر الفلسفي الغربي حتى يستأنف مهامة النقدية ، فالعقلانية النقدية تقوم بالاساس على جعل النقد الاسلوب الرئيس في النظر الى الاشياء والمواقف والافكار ، ولهذا فهو لايختزل في الجانب المعرفي وانما يتوجه ايضا إلى الواقع الاجتماعي الملموس[٦٥]، وبهذا فهو نقد اجتماعي قريب من المعنى الذي مارسه (كارل ماركس) لتفسير الواقع الاجتماعي الذي يصبح معه اكثر حيوية وارقى من الناحية الانسانية اي النقد الذي يرتبط بالممارسة، لانه لامعنى لنقد منفصل عن الواقع الملموس، ان العقلانية النقدية – حسب هوركهايمر وادرنو – قادرة على تجاوز الوضع القائم على السيطرة ، لذا فهي لاتخضع لما هو قائم وتقبله وانما يمكن ان تقوم بجهد نقدي تجاه الافكار والمؤسسات السائدة والمهيمنه وبالتالي تتحقق عملية التحرر الانساني ويتم تجاوز الاغتراب والتشيؤ، وبأختصار شديد يتحقق خلاص الانسان، غير ان هذا التحرر او الخلاص لايمكن ان تنجزه الطبقه العاملة بعدها ذاتا تاريخية يقع على عاتقها تحقيق التجاوز التاريخي بحكم انها تحمل بذور الثورة ضد الواقع اللانساني القائم ، لان الطبقة العاملة في نظر مفكري النظرية النقدية وقد تم استيعابها داخل المجتمع المتقدم تكنولوجياً، وبالتالي اصبحت عاجزة وغير قادرة على تأدية دورها الثوري ومهامها التاريخي، وقد كان موقفهم النقدي هذا نوعا من الابتعاد الفكري عن الماركسية، لهذا نلاحظ ان مفكري النظرية النقدية – خاصة الجيل الاول – قد عجزوا عن ايجاد بدائل واقعية وملموسة لتغيير الواقع القائم ووضع حـد لـ (طغيان) العقلانية الاداتية، ولهذا فضل (هوركهايمر) في اواخر حياته ان يكرس جهوده في مجال اللاهوت الديني اليهودي وصاغ افكاره الاخيرة في اطار هذا اللاهوت، مؤكدا بانه لايمكن ان ينفصل الفكر الفلسفي عن البعد الديني، اما (ادرنو) و(ماركوز) فقد

---

[٦٤] المصدر نفسه ، ص ٣١.

[٦٥] المصدر نفسه ، ص٣٢.

اتجها نحو البعد الفني والجمالي بأعتباره افقا يمكن ان يتحرر فيه الإنسان من طغيان العقلانية[٦٦].

ومن هنا جاءت اهمية العمل الفلسفي الذي انجزه (هابرماس) وان كانت لدية اختلافات مع اقطاب الجيل الاول– (هوركهايمر، وادرنو، و ماركوز)– فمن خلال نزعته النقدية التي اكتسبها بأحتكاكه بهولاء لقد عمل (هابرماس) على تجاوز الذي وقع الجيل الاول المتمثل في عدم قدرتهم عن ايجاد بديل عملي وملموس للعقلانية الاداتية ، اذ ميز (هابرماس) بين مستويين من العقلانية[٦٧]: الأولى / اداتية تستند الى معرفة تجريبية ورياضية وتخضع للقواعد التي تهدف الى التحكم او السيطرة، والثانية / تواصلية التي تعني ذلك التفاعل الذي يحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية او الانسانية في حقبة تاريخية ما بواسطة الرموز والتي تخضع للمعايير التي تحدد تطلعات افراد المجتمع وتصوغ فهم هولاء لذواتهم، ويتحدد ذلك في المجالات الاخلاقية والجمالية والسياسية، قصد تحقيق التفاهم والاتفاق، ولهذا يتم استبعاد الاكراه والعنف والسيطرة، لان الفعل التواصلي عنده يرتكز على مقاربه تهدف الى تحقيق اتفاق مبني على قناعات متبادلة بين افراد المجتمع فيتحقق اجماع عقلاني يمكن ان يغير مسار العقلانية الاداتية، ولهذا يجب التفكير في العقلانية التواصلية ، كما ذهب الى ذلك (هابرماس) في احد اشهر مؤلفاته.

يتبين لنا من خلال ماتقدم ان مفهوم العقلانية في سياقه الفلسفي الغربي هو مفهوم متحول على الدوام، فهو يتخذ صورا واشكال مختلفة، عقلانية اداتية، عقلانية نقدية، عقلانية تواصلية...الخ، وقد عملت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت على تتبع مسار هذه الاشكال المختلفة قصد الوصول الى صورة العقلانية المناسبة التي يمكن ان يحقق فيها الانسان حريته وسعادته .

المبحث الرابع : الاتجاهات الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية

تمثلت مدرسة فرانكفورت باتجاهات فلسفية واجتماعية مختلفة وهي:

١– اتجاه هوركهايمر وادرنو : وهو الاتجاه الذي تمثل بالمنهج النقدي الجدلي، وهو منهج يهدف الى توحيد النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف امام فكرة التسلط المؤدي الى العنف، وتسعى الى جعل الفكر النقدي ليبراليا وغير ليبرالي في

---

[٦٦] المصدر نفسه ، ص ٣٣.

[٦٧] محمد الجلالي ،مصدر سبق ذكره .

الوقت ذاته عمل على تطوير النظرية النقدية في مجموعة دراسات بعنوان (النظرية التقليدية والنظرية النقدية)، اذ جدد البعد المادي للنزعة النقدية، اذ انطلق من ان حياة المجتمع هي نتاج العمل وهو الامر الذي قاده الى مراجعه نظرية نقد الإيديولوجية وفق نقطتين هما[٦٨]:

النقطة الاولى / هي احتواء المتشكل الفكري عند (كارل ماركس)، فقد شكل نقد (ماركس) للايديوبوجيا منطلقا اساسيا لـ (هوركهايمر) في نقده للايديولوجية، اذ اعتبر كلاهما ان نقد الايديولوجية هي خطوة ضرورية على طريق الثورة البروليتارية .

النقطة الثانية / فقد بدأت بعد ان بدت هذه الثورة لـ (هوركهايمر) بعيدة المنال، وعلى اثر ذلك توجه (هوركهايمر) الى التركيز في نقده للايديولوجية على مقولة العقل ذي البعد الاجتماعي، مبلورا موقفه الجديد من خلال نقده لموقف (كارل مانهايم) من الايديولوجية، الا ان صعود الايديولوجيات الشمولية قاد (هوركهايمر) الى التخلي عن الثورة والى تصفية حساباته مع الماركسية ومع النظرية التقليدية استنادا لمقولات العقل النقدي وهو ما اسس للمتشكل العقلي في فكر (هوركهايمر) في سعيه الى نقد للايديولوجية .وقد خلص هذا السعي الى ان (هوركهايمر) على الرغم من نقده للماركسية ولـ(ماركس)، قد استمر على موقفه الناقد للايديولوجية معتبرا اياها كما اعتبرها (ماركس) وعيا زائفا وفكرا يتجاهل علاقاته بالواقع ، انها فكر يحجب الواقع .

اما (ادرنو) فهو يرى ان تأمل النظام الستاليني يظهر ان الايديولوجية كانت (وسيلة للاضطهاد)، لانها في الغرب لم يعد لها من وجه واضح القسمات لنتعرف عليها، فقد اضحت اكثر قدرة على التخفي والذوبان ومن دون اي علاقة مع الحقيقة . فالايديولوجيات العلموية تعلن ان ليس هناك ماهو احسن مما هو كائن ، ولاداعي للبحث عما ينبغي ان يكون، فالواقع ماهو كائن، هذه الثقافة دعاية ليس الا، وما تلبث كما يرى (ادرنو) ان تتحول رويدا رويدا الى ارهاب عندما تعمل على اقرار الوضع القائم كامر لامناص او بديل عنه . وخلافا لذلك تعتمد النظرية النقدية على عدم اغفال تحليل الواقع التاريخي لارتباطها به اشد الارتباط حتى يتسنى لها ربط النظرية بالممارسة ، فاذا كانت الممارسة تؤثر في التمثلات، فالنظرية تؤثر ايضا في الادراك. وعلى الرغم من انها تبحث بأستمرار عن سبل تجاوز المجتمع ، فيجب عليها ان

---

[٦٨] ماكس هوركهايمر وثيودور ادرنو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥.

تتحاشى السقوط في فخ ان تصبح ايديولوجيا بدورها او ان تتحول إلى صيغة جاهزة للاستعمال[٦٩].

انطلاقا مما سبق راجع (هوركهايمر و ادرنو) اسس تشكيل وتفعيل النظرية النقدية وفقا لموقفها السابق من الايديولوجية ومن طروحات (ماركس) والماركسية، فقالا : ان النظرية النقدية في المقام ليست نظرية للمعرفة او نظرية للحقيقة ، مع انها جزء من المحاولات المستمرة التي تهدف للوصول اليها، انطلاقا من اهتماماتها بالجانب الفلسفي للعلاقات الاجتماعية ، فهي لذلك محاولة جادة لإيجاد بديل نظري[٧٠]. نقدي واضح المعالم للوقوف امام التيارات الفكرية والفلسفية التقليدية التي مارست انواعا من السلطة التي هدفت الى تقويض طوعي في تاريخ الفلسفة، الذي اجبر النظرية على التراجع، وقامت على اساس منهجي قويم هو الربط الجدلي بين النظرية والممارسة كما اكد (هوركهايمر) ان جدلية النظرية والممارسة يجب ان تكون داخلية، حتى لو تنكرت النظرية لكل فهم ذاتي وفي لحظة تشكيل المصلحة، لكن على النظرية النقدية ايضا ان تستغني في الوقت ذاته عن المماثله والاحكام القاطعه التي تثير المصالح او ترتبط بها ، كما عليها ان تستغني عن كل وساطة لان قيمة ايه نظرية نقدية للمجتمع لاتتقرر بالفصل الشكلي للحقيقة وانما بالشروع في لحظة تاريخية معينه بالقيام بواجبها تجاه القوى الاجتماعية، وان اتخاذ مثل هذا الموقف انما يهدف اساسا الى توجيه المعرفة الذاتية نحو المجتمع ونحو مصلحة عقلانية ايجابية ، وهو مامكنها من ان تكون فلسفة اجتماعية هدفها نقد المجتمع وتعريفة من خلال نقد النظام القائم والكشف عن جوانب الخلل فيه ، ورفضه ان كان سلبيا ، وبمعنى اخر تعرية المجتمع الصناعي البرجوازي وعقلانيته التكنلوجية ومايرتبط بها من ايديولوجية لان نقد المجتمع هو في الوقت ذاته نقد ذاتي للأفكار التي تصدر عنه[٧١].

٢ – الاتجاه النفسي – التحليلي : اراء اريك فروم والفرويديين الجدد*

---

[٦٩] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٧٠] محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٧،ص ص ٢١٧-٢١٨.

[٧١] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

* الفرويديين الجدد : احدى التسميات التي أطلقت في أدبيات علم النفس على إتباع الطرقة الفرويدية في التحليل النفسي من علماء النفس الذين عاصروه او الذين جاءوا من بعده على الرغم من اخترف وجهات النظر التي يحملونها ومن اهم الفريديون الجدد : كارل يونغ ، ادلر ، اريك فروم ، هاري سوليفيان ..الخ. ينظر: www.wikipedia.org

تقوم فلسفة هذا الاتجاه على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي وقد مثله (اريك فروم) الذي نشأ في اسرة يهودية متدينه، وقد تأثر مبكرا بفكرة المخلص الالهي، غير انه تحرر منها بعد ان قرأ (ماركس) و(سبينوزا) و(جون دوي)، مثلما تأثر بأراء (هوركهايمر) و(ادرنو) و(ماركوز) بعد ان اصبح في مدرسة فرانكفورت النقدية عام (١٩٢٩) غير ان مسافة كبيرة كانت تفصل بينه وبين اعضاء مدرسة فرانكفورت، اذ كان معظمهم من المدرسة الفرويدية انذاك، ومن اجل تقريب المسافة التي تفصله عنهم بدأ بدراسة الطبيعة البشرية والاغتراب الاجتماعي، واخذ يبلور اتجاها خاصا في التحليل الإنساني، موجها انتقاداته إلى الفرويديين الذين مازالو يستخدمون طرقا بيروقراطية قديمة في التحليل النفسي والسايكولوجيا الطبيعية[٧٢]. حاول (اريك فروم) دمج التحليل النفسي بالنظرية الماركسية مع اختلافه معها ، مثلما انتقد تصورات علماء النفس حول (روح الجماهير) ورأى ضرورة فصل الانسان عن اوضاعة الاجتماعية .ولذلك وجد ان من الضروري دراسة الماركسية وفهمها وتحديد اسسها ثم تطويرها انطلاقا من مفهومي الطبيعة الانسانية والحرية . وفي العالم (١٩٣١) كتب (فروم) مقالا حول (التحليل النفسي والسياسة) في مجلة (علم النفس التطبيقي) اثار سجالا علميا واسعا، اذ كان محاوله لتطوير الفرويدية من خلال نظرية المعرفة الماركسية[٧٣]. ورأى (فروم) إن الماركسية كانت على خطأ حين أسقطت أهمية العامل السيكولوجي لغريزة التملك ، كما إن ماركس لم يضع أهمية للمقدمات السيكولوجية مثلما يقوم به هو اليوم، وبحسب الماركسية فان الإنسان له دوافع أساسية كالجوع والعطش وغيرها ..، وهو يسعى الى اشباعها، ولكن غريزة التملك ونزعة الربح هي نتاج علاقات اجتماعية ولهذا فان الماركسية تحتاج الى مرجعية سيكولوجية، والى حلقة الوصل الضائعة التي تربط البناء الفوقي بالاساس الاقتصادي ، وتطوير علم نفس اجتماعي تحليلي على دراسة او فهم الموضوع بباعث غير واع عن طريق تأثير الاساس المادي في الحاجات البشرية الاساسية ، كما اكد (فروم) ان النزعة المسيطرة في المجتمعات الاوربية تقوم على تعميم تجاربها على كل المجتمعات كما في موضوع (عقد اوديب) وغيرها التي ترتبط بالمجتمعات ذات النزعة الابوية البطريكية فقط ،مؤكدا العلاقة التي تربط بين روح الرأسمالية والسلوك الاوديبي في وقت كانت فيه مثل هذه الافكار غير اعتيادية، وبهذه العلاقة ربط (فروم) بين العقلانية الاوربية وغريزة التملك والتزمت والكبت من جهه ،

---

[٧٢] حسن مجيد ألعبيدي ، مصدر سبق ذكره .

[٧٣] إبراهيم الحيدري ، مدرسة فرانكفورت والتحليل النفسي : فروم بين مركس وفرويد :www. Maaber.org

وبين قهر النظام الاجتماعي من جهة أخرى[٧٤] وعليه تبلورت النظرية النقدية في فكر (فروم) بعد قرائته كتاب (حق الام الطبيعي) لـ(يوهان ياكوب باخوفن) الذي صدر في العام (١٨٦١) فحدث تحول في فكر (فروم) واخذ موقفة من نظرية (فرويد) يتغير تدريجيا وخاصة موقفه من اللبيدو وعقدة اوديب، وذلك عن طريق تجاربه السريرية من جهه، وتطوير نظريته في علم النفس الاجتماعي من جهه اخرى، اهتم (فروم) بقراءة (باخوفن) من وجهه نظر اشتراكية وركز على على المجتمعات التي يسود فيها حق الام ، وليس على الاهمية التاريخية لتلك المجتمعات التي تعاقبت عبر التاريخ ، والجانب الاخر من اهتمام (فروم) المتزايد بنظرية (باخوفن) يعود الى تناقص اعجابه بنظرية (فرويد)، ففي العالم (١٩٣٥) اعلن (فروم) الاسباب التي دفعته الى اتخاذ هذا الموقف من (فرويد)، قائلا : (ان فرويد هو سجين اخلاقيته البرجوازية وقيمه الابوية، وان الثقل الذي يضعه على تجارب الطفولة في التحليل النفسي يؤثر في ملاحظات التحليل النفسي ويدفع بالاشخاص الى الانحراف عن اتجاههم او صرف انتباههم، وفي حالة ان المحلل النفسي لايقف من قيم المجتمع موقفا نقديا، او حين يخالف المحلل النفسي رغبات الاشخاص ، فهو سيلاقي مقاومة منهم)[٧٥]، ولكن الحقيقة حسب (فروم) هي: (ان التسامح المثالي الذي يفترض ان يتحلى به المحلل النفسي ينبغي ان يوجه ضد الظلم الاجتماعي ولكن عندما اصبح القرار في يد الطبقة الوسطى تحول الى قناع اخلاقي، ولم يخرج من التفكير والقول الى العمل .والتسامح البرجوازي يبقى متناقضا بصورة مستمرة، فاذا كان واعيا فهو نسبي ومحايد ، واذا كان غير واع فهو يقف بالتأكيد في خدمة النظام القائم، ومثلما للتسامح وجهان كذلك للتحليل النفسي، اذ تختفي وراء واجهته المحايده احيانا حالات سادية).

وفي العام (١٩٣٩) انفصل (فروم) عن مدرسة فرانكفورت وركز جهودة على العمل السريري في المستشفيات ولم يلتزم الطريقة الفرويدية في التحليل النفسي ثم اعلن انفصالة عن (فرويد) ومدرسته، كما اعلن في احدى مقالاته في مجلة العلوم الاجتماعية نقده لـ(فرويد)[٧٦].

---

[٧٤] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٧٥] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٧٦] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

٣-اتجاه هربرت ماركوز : ويتمثل جوهر هذا الاتجاه في رفض المجتمع القمعي القائم، والثورة عليه من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الانسان وعدم النظر الى المجتمع من رؤية ذات بعد واحد .

لقد تشكلت البدايات الفكرية عند (ماركوز) منذ اواسط عشرينات القرن العشرين في المانيا، حين كتب نصوصا تعاون في بعضها مع الفيلسوف(مارتن هايدغر) وعارض هذا الاخير في بعضها الاخر، قبل ان ينتمي الى مدرسة فرانكفورت ليعمل على تفعيل النزعة الاصلاحية جذريا، داخل الماركسية والفرويدية على السواء [٧٧]، وظل (ماركوز) طوال حياته ومسارة الفكري امينا لبداياته، وتجسد ذلك في العام (١٩٥٥) في واحد من اهم كتبه (الجنس والحضارة) الذي عمل خلاله على اعادة ربط فكر (كارل ماركس) بفكر (فرويد)[٧٨] ، ولقد اثرى (ماركوز) النظرية النقدية بالاعمال التي اتجهت الى نقد كل اشكال الاستبداد والتسلط وفي مقدمتها التسلط التقني والاستبداد الايديولوجي، وقد ركز بشكل اساس على تحليل مفهوم القمع ودورة في البنية الاجتماعية، واثر الفعل السياسي في توجيهه وانتشارة وقد تم له ذلك، وذلك من خلال تحليل منظومتي : الجدلية المادية لـ (ماركس) والكبت الجنسي وعنصر اللبيدو عند (فرويد). واراد من ذلك ابراز العلاقة بين فعل القمع من جهه، وفعل الحركة الاجتماعية من جهة اخرى عن طريق البرهنة على[٧٩]:

١- ان الجدلية المادية قد رافقتها على الدوام جدلية بيولوجية، كان الصراع فيها قائما بين مبدأ (الارتواء) ومبدأ اللذه (الممارسة) .

٢- الازدواجية بين وعود الحضارة بتقدم الانسان واتاحة فرص العيش والسعادة وبين نموها من خلال تقديم ادوات الانتاج وتنويعها ، وضياع الانسانية .

٣- تفاقم الصراع بين العنصر اللبيدي القمعي ، وبين نضج الصراع الطبقي .

وقد قدم (ماركوز) معطيات نقدية جديدة في كل كتاب من كتبة التي تتمحور حول منطق واحد هو اعادة قراءة النص والفلسفة الماركسية ، ومحاولة استثمار المعطيات الاجتماعية والثورية فيها لصياغة نظرية اجتماعية معاصرة تقوم على حرية الفرد وتحرر عقلانيته، ونزوع كل اشكال التسلط والقمع وديكتاتورية الاراء ورجعية الانظمة وتعالي المؤسسات .

---

[٧٧] إبراهيم الحيدري ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت النقدية ، مصدر سبق ذكره .

[٧٨] محمد جوده، مفهوم القمع عند فرويد وماركيوز، تحرير: (فتحي الرقيق) دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٥٩.

[٧٩] محمد سالم سعد الله ، مصدر سبق ذكره .

ويعد كتاب (الانسان ذو البعد الواحد) من اشهر كتب (ماركوز) الذي حاول فيه ان يوضح صورة انسان البلدان الصناعية المتقدمة وكيف اصبح الانسان ذو البعد الواحد اداتين في ان واحد اداة انتاجية واداة استهلاكية في مجتمع الوفره ومن خلال طرحه لهذه الافكار اشار الى ان الثورة او التغيير لايمكنه ان يتأتى من المجتمعات ذات البعد الاستهلاكي الوحيد لانها مجتمعات لاتريد التغيير ولايمكنها التغيير، واحتمالات الثورة التغييرية بالامكان حصولها في المجتمعات الهامشية التي لاتدخل في بوتقة المجتمعات ذات البعد الواحد وعلى جميع الصعد، ان نقطة انطلاق (ماركوز) الاساسية هي الطاقة الهائلة التي بات المجتمع الغربي المعاصر التي يتمتع بها فهو مجتمع التكنلوجيا والصناعة المتقدمة، وما تحقق له هذه الطاقة من هيمنة على الفرد يتجاوز كل اشكال السيطرة التي مارسها المجتمع في الماضي على أفراده[٨٠]، وقد تبنى (ماركوز) نظرية كان لها امتداد بشكل من الاشكال في الفكر الماركسي من خلال توضيحه لانتقادات جوهرية ومواضيع خلل يعانيها الفرد والمجتمع الغربي في ضوء التطور الحاصل واشار (ماركوز) الى ان الحاجات التي يلبيها هذا المجتمع هي حاجات وهمية من صنع الدعاية والإعلان ووسائل الاتصال الجماهيري[٨١]، وهذه الحاجات المصطنعة هي وسيلة معاصرة لخلق الانسان ذي البعد الواحد القابل بالمجتمع ذي البعد الواحد والمتكيف معه [٨٢]، وهذا المجتمع يواجه اشكالا خطيرا من خلال الطابع (العقلاني اللاعقلانية) بوصفه المجتمع الذي يستغني عن حريته بوهم الحرية فيفقد الانسان حريته بوصفه انسانا بظنه انه يملكها ويفقد المجتمع دوره بوصفه مجتمعا بالامكان ان يخلق التغيير لانه يظن دوما انه على أحسن حال[٨٣]، كما وضع (ماكوز) في كتابه (الانسان ذو البعد الواحد) على طرفي النقيض مجتمع الرأسمالية الامريكية وطوباوية مجتمع اكثر حرية وسعادة، فأهمية هذا الكتاب تكمن في الوصف المنهجي لكل ميكانيزمات الرقابة في المجتمع الامريكي، فهو يبرهن ان الجنس واللاوعي والمعارضة السياسية مجبرة على التكيف ومصلحة النظام مقابل مايقدمه هذا الاخير من سعادة، فالنظام قادر على صنع حاجات واحلام مزيفة، وهذا مايحول دون وضع اسسه موضع البحث بشكل جذري ويسهل في الوقت ذاته استيعاب

---

[٨٠] هربرت ماركوز ، الإنسان ذو البعد الواحد ،ترجمة :(جورج طرابيشي)،ط٣،كمنشورات دار الاداب ،بيروت ،١٩٩٨، ص ص١٠ –١١.

[٨١] المصدر نفسه ، ص ١٢.

[٨٢] توم بوتومور، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.

[٨٣] هربرت ماركوز، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

القمع[٨٤]. وهكذا فأذا كان التصنيع والرأسمالية جعلت الفرد مغتربا حسب رؤية (ماركس)، فان (ماركوز) عبر عن الفكرة ذاتها في الفكر السياسي الغربي المعاصر من خلال نقده للانسان ذي البعد الواحد مع اضافة البعد الاستهلاكي الى المعادلة الذي ادى دورا في المجتمعات المعاصرة اكثر من الحديثة لما اصبح للتقنية والاعلام من اثر في حياة تلك المجتمعات.

٤–اتجاه يورغن هابرماس : يعد (هابرماس) من اهم رواد الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت، اهتم بدراسة المجتمعات الرأسمالية المتأخره (مابعد الصناعة) ذات الايديولوجية التكنوقراطية كما صاغها في نظريتة النقدية التواصلية التي تصنع حلولا عقلانية لمواجهة تحديات الرأسمالية والعولمة وما بعد الحداثة [٨٥]، هدف من خلال نظريتة – النقدية التواصلية – الى بناء عالم عقلاني انساني منظم عن طريق الديمقراطية التعددية التي تقوم على التفاهم والتواصل والحوار العقلاني المستمر للتحرر من العقل الاداتي الذي يسيطر على العقل الأوربي [٨٦]، قصد(هابرماس) بالفعل التواصلي: (ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز وان يخضع للمعايير المعمول بها ، والتي تحدد تطلعات السلوكيات المتبادلة بحيث يتعين ان تكون مفهومة ومعترفا بها من طرف شخصين فاعلين على الأقل)[٨٧] ، غير إن هذا التفاعل المصاغ بواسطة الرموز اللغوية هو الذي يضمن – حسب هابرماس – الوصول الى حقائق متفاهم عليها بين الاطراف المتحاورة، علما ان الحوار في سياقة الاجتماعي اداة للقضاء او لتجنب الحالات (المرضية) التي تصيب المجتمع ، ولتحقيق الاندماج الاجتماعي لاعضائة من دون عنف او تطرف قصد الوصول الى حقائق متوافق بشأنها بحيث يلعب الحوار فيها دورا مركزيا تجنبا للصراعات الاجتماعية التي تهدد المجتمع ، وهذا مايجعل للحوار فاعلية كبيرة ، ولايتمثل مشروع التواصل – حسب هابرماس – في الاقرار بحقيقة مطلقة ولاتسويغ شئ تم اختيارة ، بل يتمثل في السعي وراء الوصول الى قرار او اختيار او تقويم من لدن متحاورين مناصفة ،[٨٨] من دون ضغط او اكراه، اذ ليس من حق المتحاور ان يفرض مواقفه

---

[٨٤] عبد الوهاب ألكيالي وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥٣.

[٨٥] هبرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: (فاطمة الجيوشي)، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٥، ص ٨ .

[٨٦] فتحي التريكي ورشيدة التريكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠.

[٨٧] نقلا عن : كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٨ .

[٨٨] حسن مصدق ، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت : النظرية النقدية التواصلية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ١٢١.

على الاخرين، ولاتقييم مختلف الاراء، اذ يجب الاكتفاء بعرض المواقف والافكار، والحوار هو الذي يحدد مدى صحتها ومصداقيتها ومدى تقبلها من قبل الذوات المتحاورة داخل الفضاء العمومي وبهذا المعنى فان تحقيق التفاهم عند(هابرماس) يقوم على ربط الفعل التواصلي باللغة كأداة لتنظيم الافعال الاجتماعية وبالتالي فان اللغة عنده ليست مجرد وسيلة لنقل الافكار والمعلومات فقط وانما هي رابط من الروابط الاجتماعية الاساسية الذي يؤدي الى التفاهم المتبادل الذي يتخلى فيه الفرد عن ذاتيته الطبيعية وينخرط في الاطار الاجتماعي القائم على التواصل والمناقشة الحرة[٨٩]. مما تقدم يمكن القول بان عملية التواصل حسب (هابرماس) مشروطه بالسياقات الاجتماعية والثقافية ولكنها تبقى ايضا ذات طابع كوني ، وعلى هذا الاساس قدم من خلال نظرية (الفعل التواصلي) القائم على اللغة المبدأ المعياري الذي يعطي مكانه اساسية للجانب الاجتماعي في النظرية النقدية . وفي معرض حديثه عن الماركسية فقد عدها فكر ذو قدرة نقدية هائلة لكن لابد من عادة توجية الماركسية وذلك بالنظر اليها على اساس بناء نقدي وليس معتقد دوغمائي مغلق ولخص هذه الفكرة في مصطلح (الماركسية كنقد)، فالماركسية بالنسبة اليه ليست فكرا علميا ماديا يتجسد في تكوين نمط من الرؤية للتاريخ فحسب، كما انها ليست قياسا متواصلا لمنحنيات الانتاج الاجمالي وانعطافاته داخل ديمومة الجبرية، بل هي اهم من ذلك بسبب طرحها معايير ومقايس علمية تسعى الى تحديد ومراقبة البنية الفوقية للمجتمع ، ومن ثم فالماركسية في نظره ليست ايديولوجيا او معتقد سياسي فحسب وإنما هي طاقة مستمرة للنقد[٩٠]، وعلى الرغم من قربه من الماركسية، فانه اختلف مع (ماركس) في امر اساسي: اذ رأى ان (ماركس) قد اخطأ في اعطائه للانتاج المادي المركز الاول في تعريفة للانسان في رؤيته التاريخية بأعتباره تطورا للاشكال والانماط الاجتماعية ، ولهذا رأى (هابرماس)ان التفاعل الاجتماعي هو ايضا بعد اساسي من ابعاد الممارسة الانسانية ، وليس الانتاج وحدة وهو ماوضح فلسفتة التي تقوم على مفهوم الاتصال او التواصل وعلى اسبقية اللغة وأولويتها على العمل[٩١]، هذا من جانب ، ومن جانب اخر اتهم (هابرماس)الفلسفة الوضعية بأنها ورغم احكامه القيمة فيها لصالح الوضع القائم ،تتجاهل الاهتمامات النظرية للعلم كأداة لتحقيق تحرير الانسان من ضرورات الطبيعة

---

[٨٩] كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٨.

[٩٠] هميل حسين حاسي ، مدرسة فرانكفورت : www.wings.ahlamontada.net

[٩١] توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦١.

والبنية الاجتماعية ، بهدف فلسفي ايضا وهو استعادة العلاقة بين النظرية والتطبيق على اساس عقلاني، كما ذكر ان العقل عند فلاسفة التنوير كان سلاحا في المعركة ضد الوهم والخرافة والطغيان، وكان الشر قرينا للخطأ، بينما كان الخير هو نفسه الحقيقة وتحرير الانسان ومافيه من الخير له، ولذلك كان التطبيق مرتبطا كل الارتباط بالنظرية، او بالتفلسف او بالبحث العلمي المجرد ، ولكن مع نمو العلم والتكنلوجيا وتضخم التنظيم البيروقراطي للمجتمع الصناعي، اتخذت تلك الرابطة طابعا شريرا وغير انساني ، واتخذ العقل طابعا عمليا، وتحولت العقلانية الى اداة لتحقيق اقصى كفاءة لمؤسسات المجنمع المدني الذي تديره تلك البيروقراطية، وفقد العقل بذلك دوره التحريري، ولم يعد كما كان اداة لاكتشاف الحقيقة، أو منبعا للمعاني والقيمة، وذلك عندما أكدت الوضعية ان وظيفتها كفلسفة سائدة هي تقديم وصف تصويري وموضوعي للعالم كما هو، وللمعرفة كما هي، وليس نقدهما[٩٢].

٤-اتجاه اكسل هونيث *: وهو الاتجاه الذي مثلة الفيلسوف الالماني (اكسل هونيث) وهو ممثل الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت ولعل المكانه المتميزة التي احتلها هذا الفيلسوف ترجع لكونه استطاع وبجدارة عالية القيام بتنظير فلسفي لمفهوم (الاعتراف) وخاصة بعد ظهور كتابه الاساسي (الصراع من اجل الاعتراف) في العام (١٩٩٣) ، وتجدر الاشاره هنا عند (هونيث) يركز على الجوانب الاجتماعية والاخلاقية والنفسية ، كالظلم الاجتماعي والتهميش والاغتراب والتشيؤ التي يعاني منها الافراد وتعرفها الجماعات في المجتمعات ألمعاصره[٩٣]، إن ما يؤكد عليه (هونيث) يتمثل في القول بانه لايمكن باي حال من الاحوال تحقيق كرامة الانسان وضمان حقوقة الاساسية والمشروعة اخلاقيا وقانونيا وسياسيا الا بواسطة مبدأ الاعتراف ، وفي هذا السياق فان صياغة الاعتراف تكتسب اهمية بالغة عنده ، وتلعب دورا مركزيا يتمثل في اعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية قصد التخفيف من المعاناة والظلم الاجتماعي والسياسي واللامساواة بين الناس وكل اشكال الازدراء و (الامراض الاجتماعية) وبالتالي تحقيق قيم العدالة وحقوق الانسان والحرية في إطار الاعتراف

---

[٩٢] المصدر نفسه ، ص ص ١٦١ – ١٦٢ .

* اكسل هونيث : ولد في مدينة (ايسن) في ألمانيا في العام (١٩٤٩) ، ودرس الفلسفة وعلم الاجتماع في (بون) ، ثم واصل دراسته الأكاديمية في جامعة (برلين) ، استقر في جامعة (غوته) بمدينة (فرانكفورت)، له العديد من= المؤلفات اهمها :نقد مفهوم السلطة ١٩٨٥،الصراع من اجل الاعتراف ١٩٩٢، مجتمع الازدراء :نحو نظرية جديدة ٢٠٠٢،التشيؤ ٢٠٠٥ .ينظر : كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ،ص ١٠٣.

[٩٣] المصدر نفسه ، ص ص ١١٦ –١١٧ .

المتبادل[٩٤]، وعلى الرغم من تأثر(هونيث) بنظرية (الفعل التواصلي) واشادته بها غير ان لديه تجاه استاذه (هابرماس) تحفظين اساسيين وهما:

التحفظ الاول/يتمثل عند (هونيث) في القول بان النموذج التواصلي عاجز عن تفسير التجربة المعاشة للافراد بصورة شاملة او كلية، وذلك لان التواصل اللغوي ماهو الا جانب من جوانب التفاعل الاجتماعي، ومن هنا كان من الضروري توسيع النموذج التواصلي حتى يتسنى لنا تعميق فهمنا بالتجربة الاخلاقية التي يمر بها الافراد وذلك بالبحث في (الجوانب غير اللغوية) للتواصل الاجتماعي بصورة اعمق من نموذج التوافق اللغوي وما يرتبط به من اشكال التفاعل كالحركات والأفعال الجسدية[٩٥].

التحفظ الثاني / يتمثل في القول بان (هابرماس) قد تجاهل ماسماه (هونيث) الطابع التنازعي او الصراعي الموجود او السائد في بنية المجتمع والذي يحدد نمط الحياة الاجتماعية والاخلاقية التي تميزه، وعوض التركيز على رد التفاعلات الاجتماعية الى التفاهم التواصلي يجب ربط هذه التفاعلات بالتوترات والنزاعات والصراعات الاجتماعية، ((وذلك لانة يتعذر علينا الوصول الى فهم حقيقي للحياة الاجتماعية، الا كونها مجال الصراعات والنزاعات الاجتماعية وهذا الجانب الاساسي هو بالذات ماتجاهلته النظرية النقدية ويورغن هابرماس أيضا))[٩٦].

نستنتج مما تقدم بان (هونيث) لايرفض بصورة كلية مفهوم (الفعل التواصلي) وانما يرفض اختزال هذا الفعل الى نموذج التواصل اللغوي ، ولذلك عمل على اغناء وتوسيع مفهوم التفاعل التواصلي من خلال البحث عن الافعال التي تدل على اعتراف الغير لنا كأفراد وجماعات، علما ان هذه الافعال قد تأخذ اشكال متعددة اهمها حسب (هونيث) علامات ومؤشرات اعتراف الغير بقيمتنا ومكانتنا في الحياة الاجتماعية، وهي متعلقة بالافعال الادراكية وغير الادراكية، بحيث تتوسع معايير التفاعل الاجتماعي الى انماط اخرى غير لغوية اي لم تعد تتحدد بواسطة الرموز والمعاني اللغوية المشتركة بين الافراد وإنما بمؤشرات الاعتراف المتبادل[٩٧].

---

[٩٤] ألن هاو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٧ .

[٩٥] المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

[٩٦] نقلا عن : كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٣.

[٩٧] المصدر نفسه ، ص ص ١٢٤ – ١٢٥ .

الخاتمة:

في ختام بحثنا الموسوم بـ(الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت) توصلنا الى النتائج الاتية :

١–شكلت مدرسة فرانكفورت النقدية انعطافه مهمة في مسيرة الفكر الاوربي الحديث اذ كان لهذه المدرسة الاثر الكبير والفاعل في صياغة نظرية نقدية تتعامل مع السوسيولوجيا، الفلسفة، والسياسة ، والثقافة كأبعاد متداخلة ومتشابكة في عملية تكوين ودراسة النظريات الاجتماعية والافاق المعرفية والحضارية التي رافقت التطورات والتحولات التي شهدها المجتمع الاوربي في ميادين الاقتصاد والسياسة، وبروز النظام الرأسمالي كعامل حاسم ترك اثاره على الادبيات الفلسفية والاجتماعية .

٢–ضمت مدرسة فرانكفورت النقدية اتجاهات مختلفة ، الا ان جميع هذه الاتجاهات اتفقت على نقدها للمجتمع الصناعي الشمولي وما افرزه من تناقضات وخاصة ثقافة البرجوازية .

٣–اختلفت النظرية النقدية عن الماركسية في :

أ – ترى الماركسية ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يتم بواسطة الفعل الثوري للبروليتاريا التي تعمل على تدمير الجهاز السياسي للراسمالية والابقاء على علو وسائل الانتاج، اما النظرية النقدية فترفض هذه الرؤية وترى ان التكنلوجيا (من وسائل الانتاج) تعد في حد ذاتها احدى وسائل القهر وهي تمثل الاستخدام السيئ للعلم والحضارة .

ب – ترى النظرية النقدية ان العقل هو الوسيلة الاساسية للتحرير وليس الفعل الثوري الذي تؤكد علية الماركسية .

ج – تؤكد النظرية النقدية على ان الثقافة الايديولوجية تلعب دورا هاما ومستقلا في المجتمع وليست انعكاسا حتميا للواقع الاقتصادي وهي بالتالي ترفض فكرة البناء الفوقي والتحتي للماركسية .

٤– اختلفت النظرية النقدية مع الوضعية في :

أ – تركز الوضعية على العقل الادائي الذي يعلي من شأن الوسائل بينما تركز النظرية النقدية على العقل الموضوعي الذي يؤكد على الغايات .

ب– تؤكد النظرية النقدية على العلاقات الجدلية بين الفرد والمجتمع بينما ترى الوضعية ان الافراد كائنات سلبية في مواجهة المجتمع .

ج – تركز الوضعية على شكل الظاهر ودراستها من الخارج فيما تهتم النظرية النقدية بدراسة الجوهر الذي يكمن خلف الشكل الخارجي للظواهر . وفي الختام نقول ، انه على الرغم من

انطفاء شمعات اغلب الرواد الكبار لمدرسة فرانكفورت النقدية ، الا ان افكارها الفلسفية والاجتماعية النقدية مازلت حية وهذا دليل على حيويتها وقوة تأثيرها وفاعليتها التي مثلت جيلا غير اعتيادي مرت لحظته التاريخية مرورا متميزا وغير اعتيادي ايضا.

الملخص

تعد مدرسة فرانكفورت أبرز مدرسة فلسفية اجتماعية نقدية معاصرة وجهت نقدا مركزيا وبناءً للسلبيات الاجتماعية والفكرية التي عرفتها المجتمعات الاوربية المعاصرة بتوجيه انتقادات جذرية وعميقة للمفاهيم والقيم التي تأسست عليها هذه المجتمعات كـ (العقلانية ، الحرية ، التقدم العلمي والتقني)، اذ كان اغلب مفكريها يسعون الى هدف واحد مشترك هو العمل على تغيير الواقع ليصبح اكثر انسانية وايجاد صورة العقل التي تتناسب مع هذا العقل الانساني .اذ على الرغم من انطفاء شمعات اغلب روادها الكبار الا ان افكارها الفلسفية والاجتماعية النقدية مازات حية وهذا دليل على حيويتها وقوة تأثيرها وفاعليتها التي مثلت جيلا غير اعتيادي مرت لحظته التأريخية مرورا متميزا وغير اعتيادي كذلك.

Summary

Political Thought of the Frankfurt School of cash

Assistant professor. Dr.Abeer suham Mahdi

The Frankfurt School most prominent school of philosophical and social cash Contemporary directed cash centrally according to the cons of social and intellectual known to communities of European contemporary criticism of radical and profound concepts and values that founded this community (k rationality, liberty, scientific and technical progress), as was most of the thinkers seeking to one common goal is to work to change the reality to become more humane and find a picture of the mind that are commensurate with the human mind .as Although extinguished spark most of the patrons adults, but the ideas of philosophical and social cash continue to be under live and this is evidence of the vitality and strength of the impact and effectiveness of which represented a generation is routinely passed through his moment of historical distinct and unusual as well.